مجلة البيان – العدد 4 جمادى الآخرة 1407هـ
فبراير 1987م

الافتتاحية

مهمة العلماء

إن المكانة التي ينالها العلماء بين صفوف المسلمين لا تعدلها مكانة أبداً، وإن عناية المسلمين بتسجيل دقائق حياة علمائهم مشهورة ومشهودة، تشهد بها آلاف كتب التراجم والطبقات التي حفظت هذا المقدار الهائل من أسماء العلماء على مدار العصور ، وعلى اختلاف مناحي المعرفة. وسبب ذلك أن النظرة إلى العلم والعلماء قضية داخلة في صلب العقيدة الدينية، فقد ترسخت هذه المكانة للعلماء من يوم أن اعتبر أن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومنذ تفرق الصحابة - رضي الله عنهم - في البلدان، ينشرون الدين، ويعلمون الناس ما جاء به محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - من العلم والنور والهدى.

وقد كان المنصب العلمي غير منفصل عن منصب القيادة السياسية في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وفي حياة خلفائه الراشدين، بل وفي حياة بعض الخلفاء الذين تحول الأمر على أيديهم إلى ملك عَضوض.

وبعد ذلك بدأت العلاقة بين المكانة العلمية والمنصب السياسي تتراخى، حتى أصبحت طبقة العلماء متمايزة تقريباً عن طبقة الحكام ، إلا في استثناءات يسيرة.

ومع هذا ، فإن عامة الناس ازداد التفافها حول علمائها ، فبينما كانت العلاقة بينهم وبين القادة السياسيين - في الغالب - تحكمها الأمور الرسمية ، وتحيط بها مشاعر الرهبة والخوف لأنها كانت ناتجة عن استخدام القوة والإكراه ، كانت علاقتهم بالعلماء علاقة قلبية تقوم على مشاعر الولاء الداخلي الصادق النابع من عقيدتهم ، وذلك لأنهم كانوا يجدون في هؤلاء العلماء الملاذ من قسوة الظروف ، وكانوا يلتمسون عندهم الحلول لمشاكلهم ،

والنور الذي يهتدون به حينما كانت تشتد عليهم الأحوال الداخلية أو الخارجية.
وحينما حصل الانفصال بـيـن الـعلم وبين القيادة ، وتسلط على الناس مَن لا يبالي ولا يقيم وزناً لمثل هذه المؤهلات - أصبحت هيبة العالِم تزداد ، وأثره يترسخ بقدر بُعده عن أبواب هؤلاء السلاطين ، وكان هذا نوعاً من المقاومة السلبية لهذه الحال غير الطبيعية.
ولو أننا أردنا أن نستخلص مميزات للعلماء الذين بقوا في ذاكرة الأمة ، واستمر أثرهم حياً بعد موتهم، مـن خـلال اسـتـعـراضـنـا لـتاريخ العلم والعلماء لأمكننا أن نعثر على كثير من الصفات التي كفلت لهؤلاء العلماء جميل الذكر وعميق الأثر في حياتهم وبعد مماتهم ، ومن ذلك:
1- العلم الصحيح النابع من توجيهات القرآن الكريم ، وما صح من سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -.
2- الإخلاص في طلب هذا العلم ، وفي تبليغه ، وعدم الحرص على فضول الدنيا وحطامها الزائل.
وإننا لنجد العجب العجاب في سيرة علمائنا حول هذا المعنى ، ولقد سن هؤلاء لمن بعدهم نهجاً واضحاً في التقلل والصبر والبعد عن إذلال النفس وإهانتها في سبيل تحصيل فضول العيش ، وضربوا أروع الأمثلة في ذلك ، بل إنهم كانوا لا يستنكفون عن القيام بأي عمل يدوي مهما كان ؛ ليعيشوا في غناء عن الحاجة لأحد ، أعزة يقولون كلمة الحق في وجه من يحيد عنها ، لا يخشون قطع جراية أو مرتب ، فكان منهم الفرَّاء والعطار والزجَّاج والإسكاف و...
3 - الالتصاق بالجماهير، فالعلماء الذين أحدثوا أثراً مدوياً هم الذين لم ينعزلوا في بيوتهم ، أو في حلقات ضيقة حصروا أنفسهم فيها ولم يدروا ما يموج به المجتمع من مشاكل ، وإنما تناولوا قضايا الناس الملحة ، ونظروا فيما له أثره وانعكاساته على حاضر الناس ومستقبلهم.

وإنني سأكتفي بضرب مثالين من أمثلة كثيرة على هذا الأمر من حياة إمامين جليلين هما: الإمام أحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية.
ففيما يتعلق بالإمام أحمد فإنه وقف موقفاً جريئاً وثابتاً من قضية شغلت الناس في عصره ، وبدعة استظهر على القول بها جماعة من أهل الأهواء بقوة السلطان ، وامتحنوا الناس بها ، وأرادوا أن يحملوهم عليها قسراً ، ألا وهي بدعة القول "بخلق القرآن".
وقد يظن بعض الناس - لأول وهلة - أن موقف الإمام أحمد ليس له ما يبرره ، وأن القضية التي تصدى لها ليس لها ذلك الخطر الذي نصب نفسه لمجابهته ، ولكن هذا الظن قد تدفع إليه العجلة أو الجهل بالحقائق ، فقد وجد الإمام أحمد في هذه المقالة - من حيث المبدأ - أمراً لا أصل له ، ولا دليل عليه ، ومن جهة ثانية كانت هذه المقالة بتأثير من الأفكار الوافدة والفلسفات الدخيلة التي تسربت من خلال الترجمة لبعض آثار الأمم غير الإسلامية ، بتصوراتها الوثنية ، ولوثاتها التي تصادم ما عليه المسلمون من عقيدة ومنهج.
وليس هذا مقام تحليل ظروف المحنة ، وما كانت ستؤدي إليه النظريات الاعتزالية والعقلية ، فيما لو هيمنت على أسس النظر والاستدلال عند المسلمين ، ولكن نقول:
إن بقاء الإمام أحمد صابراً محتسباً ، يسام العذاب في سبيل عقيدته ، لا يزلزله الترهيب ، ولا يستخفه الترغيب - أمر لا يدعو إلى الإعجاب فقط ، بل يدعو للتساؤل عن سبب هذا الثبات على الرأي ، على الرغم من أن كثيراً من علماء عصره آثروا السلامة ، ووافقوا ما يريده الخليفة وبطانته تقيَّة.
وقد يقال: أَمَا كان لأحمد بن حنبل مندوحة فيما سلكه علماء عصره من التَّقِيَّة ؛ وأن يداري الخليفة وبطانته بقول وقلبه مطمئن بخلافه ، ويجني من وراء ذلك الموقف رضا السلطة عنه واستمرار دروسه وانتفاع الناس بعلمه ؟.
ولكن مع أن التقية في دار الإسلام - حيث تستقر الأحكام - تناقض مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكيف بمن هو مثل الإمام أحمد أن يقف هذا الموقف المتخاذل الذي يمكن أن ينتج

عنه افتتان كثير من العامة به ، وقد كان هذا المعنى حاضراً في ذهن الإمام أحمد حينما دخل عليه بعض الناس ، وهو محبوس بالرقة ، فجعلوا يذاكرونه ما يُروى في التقية من الأحاديث ، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: »إن من كان قبلكم كان ينشر بالمناشير ثم لا يصده ذلك عن دينه« ؟ وقال له المروزي لما أرادوا أن يقدموه للضرب: يا أستاذ ! ، قال الله - تعالى -: »ولا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ« [النساء:29] ، فقال: يا مروزي ! اخرج انظر أي شيء ترى ؟ ؛ قال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصي عددهم إلا اللهُ - عز وجل - ، والصحف بأيديهم ، والأقلام والمحابر في أذرعتهم. فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون ؟ ، فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه. فقال المروزي: مكانكم ، فدخل إلى أحمد وقال له: رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ، ينتظرون ما تقول فيكتبونه. فقال: يا مروزي ! أُضل هؤلاء كلهم ؟! أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم.

قلت: هذا رجل هانت عليه نفسه في الله - عز وجل - فبذلها (1).

وهنا يتضح معنى شهادة علي بن المديني التي قال فيها: "إن الله - عز وجل - أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة" (2).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد عاش مشاكل عصره بعمق ومعاناة جعلاه مميزاً من بين العلماء في تفاعله مع القضايا المصيرية التي كانت راهنة يومذاك.

ولقد كان يسعه ما وسع كثيراً من غيره من العلماء ، فيقـنع بالرتابة التي لفت وتلف الكثيرين ، وتمضي حياته بين وظيفة رسمية يتقلدها فتستعبده ، وإن آثر الابتعاد عن ذلك فحسبه أن يكتفي بدروس يلقيها على طلبة العلم ، وغوص في غمار المسائل الدقيقة خلال جماعة معدودة ، اختصت به ، ورضي بها ، ولكن - مع أن التبحر في العلم ، والتعمق به من لوازم صفات العالم - إلا أنه أدرك أن العلم الذي لا يحرك الجماهير ، ولا يبصرها بواقعها ويستحضر لها المخاطر التي تتهدد كِيانها من جذوره علم ساكن ، يعيش صاحبه ويموت ويزول أثره كحلم لذيذ بين أجفان متعب وسْنان ، سرعان ما يُنسى تحت وطأة اليقظة وتكاليفها الثقيلة.

فاختار الطريق الشاق ، ورمى بنفسه في أتون قضايا عاصفة ، فها هو قد فتح عينيه على الحياة وقد قوض التتار الخلافة العباسية ، وزحفوا كالطاعون فأزالوا مدناً وممالك من الوجود ، وعاثوا فساداً في كل أرض وطئوها ، ووجدوا في طريق زحفهم قوى إسلامية مبعثرة ، تفتك فيها الفرقة ، ويعيش في ظلالها أهل الأهواء ، على اختلاف منازعهم ومللهم ، وفرقاً باطنية تنخر كالسوس في هذا الكيان الذي كان يوماً تحت سلطة مهيبة الجانب ، وعلماء ركنوا إلى الدنيا ، وجمدوا على التقليد ، ولقـنوا أتباعهم التعصب ، وبدل أن ينفقوا جهودهم في إحياء الأمة من رقادها ، أنفقوها في الكيد لبعضهم ، وفي التسابق في طريق الوشاية عند السلطان ، وأعداءً قدامى لهذا الدين انتهزوا هذه الفرص ليرصوا صفوفهم من جديد ، ويجهزوا على مكامن القوة فيه... وشيئاً كثيراً من السلبيات تضيق هذه المقالة عن ذكره.
فخاض - رحمه الله - في كل اتجاه ، حتى تألب عليه بسبب ذلك من لا يسامونه في همته ، ولا يساوونه في غيرته ، فحارب التتار ، وبين حكم الله فيهم ، بعد أن نكل عن ذلك كبار علماء عصره ، وحرض الناس على التصدي لهم ، حتى سرت فيهم نفحة جهادية كفت عنهم هذا الوباء الأصفر ، وتصدى للعاملين على إشاعة الجمود والخرافة والتحلل من ربقة الشريعة ، فلم يبالِ بما لهم من كلمة نافذة في صفوف العلماء والأمراء والعامة ، وعمل على إرساء أصول النظر الصحيح من خلال إعادة الناس إلى فهم الكتاب والسنة ، ونبذ الأفكار الدخيلة التي فرقت الأمة ، وكادت تعصف بما يميزها من عقيدة صحيحة ، ولم يجمجم - بينه وبين نفسه - برأي يقوله في أصحاب الفرق الضالة ، والمذاهب المنحرفة ، بل قالها صريحة واضحة في وجوههم ، وبين حكم الإسلام وما استقر عليه رأي العلماء الذين يعتد بهم في الفرق الباطنية وجذورها وأساليبها الملتوية في خديعة المسلمين والمكر بهم ، وبطلان أدلتها القائمة على الشُّبه والهوى والظلم.
ولم تهن له عزيمة ، ولم تلن له قناة وهو يواجه هذا الجم الغفير من أعداء الداخل والخارج ، وتحمل من أجل ذلك ما تحمل من

الكيد والوشاية التي أودت به إلى السجن ثلاث مرات.. حتى مات في السجن صابراً محتسباً - رحمه الله -.
ونحن حين نقول هذا في ابن تيمية لا ندعي له ولا لغيره من العلماء العصمة ، ولا ننزههم عن الخطأ في السلوك أو الاجتهاد ، ولكن نود أن نستخلص فكرة محددة من خلال كل هذا ألا وهي أن العالم الذي يبقى صداه مدوياً مجلجلاً هو ذاك الذي يدفعه التحرق والتألم على واقع أمته إلى المشاركة الفعلية في مشكلاتها والاكتواء بنار هذه المشكلات ، فهذه هي وظيفة القادة الذين يمثلون روح الأمة ، والرواد الذين يسيرون بها نحو الغاية ، حين تشتبه السبل ، وتعم الفتن ، وتكثر الدعوى ، ويعجب كل ذي رأيه برأيه.

الهوامش:

1- جلاء العينين لنعمان الآلوسي 236.
2 - المصدر السابق.

أليس عجيباً ؟!

أليس عجيباً: أن نهدر الساعات الكثيرة في الثرثرة غـيـر المجدية، وأحـيـانـاً في الـغـيـبة المحرمة ثم نمنّ بعد ذلك على الله - تعالـى - بـسُـويعات ندعو فيها الله - تعالى - نعوذ بالله أن نكون ممن قال فيهم : ((يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإيمَانِ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) [الحجرات:17].
أليس عجيباً : أن نهدر الأموال الكثيرة في سفاسف لا نحتاج إليها ، أو أن حاجتنا إليه قليلة ، حتى إذا جاء الإنفاق في سبيل الله بَخِلْنا ((هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ومَن يَبْخَلْ فَإنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ))[محمد:38] .
أليس عجيباً : أن يدَّعي المرء حب الله ورسوله ثم يتردد كثيراً في التضحية في سبيله وإن فعل ذلك فعله وهو متذمر متألم ، يود لو يتخلى عن ذلك فوراً ! ((قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ))[آل عمران:31] .

أليس عجيباً: أن يدَّعي المرء الخوف من الله - تعالى -، وهو يوافيه بالمعاصي ليل نهار، ولا يتردد لحظة واحدة في التكاسل عن القيام بحق الله تعالى في كل مجالات الحياة !.
ألـيـس عجيباً : أن تقلِّب أشرطة الشباب المسلم فلا ترى إلا أشـرطـة رديـئــة أو رتـيـبـة، وأشرطة العلماء تئن تحت طبقات الغبار لا تجد من يشتريها !
أليس عجيباً:أن تقلب كتب الشباب المسلم - الدعاة!!-فلا تجد فيها إلا حكم التدخين؟! وأدعية الصباح والمساء؟!ومواعظ من النوع الذي يوزع مجاناً ..!!،والمطابع تقذف باستمرار بآلاف الكتب وفيها الكثير الطيب الذي يستحق القراءة .
عبد العزيز محمد الحويطان

أوصاف المفارقين لأهل السنة والجماعة

اختيار:محمد المصري

المفارقون للسنة يدفعهم إلى ذلك أمران رئيسيان:

الأول: هو الجهل بالحق فيـحـكمون بالظن بلا علم. والثاني: الهوى فيحكمون بالظلم بلا عدل.
"وقد كان أولهم خرج على عهد رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فـلـمـا رأى قـسـمـة النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : يا محمد ! اعدل فإنك لم تعدل ، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : "لقد خبت وخسرت إن لم أعدل" . فقال له بعض أصحابه : دعـنـي يـا رسـول الله أضرب عنق هذا المنافق .
فقال : "إنه يخرج من ضِئضىء هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم" الحديث .
فكان مبدأ البدع هـو الـطـعــن في السنة بالظن والهوى ، كما طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه"[ج3،ص350] ، والمفارقون للسنة يدفعهم الجهل والهوى إلى كثرة الآراء وتضاربها واختلافها من جهة ، وإلى التفرق والشقاق والمعاداة من جهة أخرى .

"إن كـــل أحـد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا سـيـمـا المتأخرون من الأمة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة ، والفقه فيهما ، ويميزوا بين صحيح الأحاديث وسقيمها ، وناتج المقاييس وعقيمها . مع ما ينضم إلى ذلك من غلبة الأهواء ، وكثرة الآراء ، وتغلظ الاختلاف والافتراق ، وحصول العداوة والشقاق.
فإن هذه الأسباب ونحوها مما يوجب (قوة الجهل والظلم) اللذين نعت الله بهما الإنسان في قوله : ((وحَمَلَهَا الإنسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً))[الأحزاب:72] . فإذا منَّ الله على الإنسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الضلال"[ج3،ص378] .
والمفارقون للسنة قد يدفعهم إلى ذلك الغلو الذى ذمه الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- .
"فإذا كان على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين ، قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة ، حتى يدعي السنة مَن ليس من أهلها ، بل قد مرق منها وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله - تعالى - في كتابه حيث قال : ((يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ الحَقَّ..)) الآية [النساء:171].. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : "إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" وهو حديث صحيح .
ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله - تعالى - في كتابه العزيز . ومنها أحاديث تُروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة ، يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه .
(وأضل الضلال) اتباع الظن والهوى ، كما قال - تعالى - في حق من ذمهم : ((إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ ومَا تَهْوَى الأَنفُسُ ولَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الهُدَى))[النجم:23] وقال في حق نبيه -صلى الله عليه وسلم- : (وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ومَا غَوَى (2) ومَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى (3) إنْ هُوَ إلاَّ وحْيٌ يُوحَى (4))[النجم] ، فنزهه

عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم : فالضال هو الذي لا يعلم الحق ، والغاوي الذى يتبع هواه ، وأخبر أنه ما ينطق عن هوى نفسه ، بل هو وحي أوحاه الله إياه ، فوصفه بالعلم ، ونزهه عن الهوى))[ج1،383] .

والمفارقون للسنة : منهم قوم جهال بالدين ومنهم قوم منافقون ، ومنهم قوم سماعون للمنافقين يقبلون منهم ، وكل من هذه الأصناف قد يكون فتنة للصنف الآخر .

"قد يقع التنازع في تفصيل الكتاب فتارة يكون بين العلماء المعتبرين في (مسائل الاجتهاد) ، وتارة يتنازع فيه قوم جهال بالدين ، أو منافقون ، أو سماعون للمنافقين . فقد أخبر الله - سبحانه - أن فينا قوماً سماعين للمنافقين يقبلون منهم . . وكثيراً ما يضيع الحق بين الجهال الأميين وبين المحرفين للكلم الذين فيهم شعبة نفاق . . فإما أن تضل الطائفتان ، ويصير كلام هؤلاء فتنة على أولئك حيث يعتقدون أن ما يقوله الأميون هو غاية علم الدين ، ويصيروا على طرفي نقيض ، وإما أن يتبع أولئك الأميون أولئك المحرفين في بعض ضلالهم . وهذا من أسباب تغيير الملل، إلا أن هذا الدين محفوظ))[ج25، ص128-131].

والمفارقون للسنة مغالون في التعصب للأشخاص بلا علم ولا عدل ، ومغالون في التعصب في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد مع البغي والعدوان على المخالف لهم .

"فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق"[ج3،ص347].

(ومن والى موافِقه وعادى مخالفه وفرق بين جماعة المسلمين ، وكفّر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات ، واستحل قتال مخالفه دون موافقه ، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلاف"[ج3،ص349] .

"إن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا في كتاب منزل من السماء ، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل. ومن هنا يعرف

ضلال من ابتدع طريقاً أو اعتقاداً زعم أن الإيمان لا يتم إلا به. مع العلم بأن الرسول لم يذكره ، وما خالف النصوص فهو بدعة باتفاق المسلمين.. ويروى عن مالك - رحمه الله - أنه قال: "إذا قل العلم ظهر الجفاء ، وإذا قلت الآثار كثرت ا لأهواء".
ولهذا تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً ويبغضون قوماً لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها ، بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلف الأمة ، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها. وسبب هذا إطلاق أقوال ليست منصوصة ، وجعلها مذاهب يدعى إليها ، ويوالى ويعادى عليها ، وقد ثبت في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في خطبته: "إن أصدق الكلام كلام الله.. الخ" فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة ، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة ، وما تـنازعت فـيه الأمة ردوه إلى الله والرسول. وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريـقـته ، ويوالي ويعادي عليها ، غير النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي ، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة. بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة ، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون. والخوارج إنما تأولوا آيات القرآن على ما اعتقدوه ، وجعلوا من خالف ذلك كافراً ؛ لاعتقادهم أنه خالف القرآن ، فمن ابتدع أقوالاً ليس لها أصل في القرآن ، وجعل من خالفها كافراً كان قوله شراً من قول الخوارج"[ج20،ص163-164].
فـالـمـفـارقـون لـلـسـنـة إذن يقدمون بين يدي الله ورسوله: فيخرجون عن السنة أولاً ، ثم يـبـادرون أهـل الـسـنة بالـبـغـي والظلم والعدوان، فيخرجون عن الجماعة ثانياً، وهذا هو الأصل الذي تدور حوله وتتولد منه البدع والأهواء !
"أول الـبـدع ظـهـوراً في الإسلام وأظهرها ذماً في السنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة .. ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

- إحداهما: خروجهم عن السنة ، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة ، أو ما ليس بحسنة حسنة ، وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة ، فقائلها لابد أن يثبت ما نفته السنة وينفي ما أثبتته السنة ، ويحسّن ما قبحته السنة أو يقبح ما حسنته السنة ، وإلا لم يكن بدعة ، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأً في بعض المسائل ، لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة.
والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته ، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف - بزعمهم - ظاهر القرآن ، وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا ، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه..
- الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان. وكذلك يقول جمهور الرافضة ، وجمهور المعتزلة ، والجهمية ، وطائفة من غلاة المنتسبين إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم.
فهل أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإجماع السلف أنها بدعة ، وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفراً.
فينبغي للمسلم أن يحذر هذين الأصلين الخبيثين ، وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم.
وهذان الأصلان هما خلاف السنة والجماعة ، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة ، ومن كفر المسلمين بما رآه ذنباً ، سواء كان ديناً أو لم يكن ديناً ، وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة. وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين.
أما الأول فشبه التأويل الفاسد أو القياس الفاسد: إما حديث بلغه عن الرسول لا يكون صحيحاً ، أو أثر عن غير الرسول قلده فيه ولم يكن ذلك القائل مصيباً ، أو تأويل تأوله من آية من كتاب الله أو حديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صحيح أو

ضعيف، أو أثر مقبول أو مردود ، ولم يكن التأويل صحيحاً ، وإما قياس فاسد أو رأي رآه اعتقده صواباً وهو خطأ.
فالقياس والرأي والذوق هو عادة خطأ المتكلمة والمتصوفة وطائفة من المتفقهة. وتأويل النصوص الصحيحة أو الضعيفة عامة خطأ طوائف المتكلمة والمحدثة والمقلدة والمتصوفة والمتفقهة.
وأما التكفير بذنب أو اعتقاد سني فهو مذهب الخوارج. والتكفير باعتقاد سنى مذهب الرافضة والمعتزلة وكثير من غيرهم. وأما التكفير باعتقاد بدعي فقد بينته في غير هذا الموضع [ج12،ص 464 وبعدها] . ودون التكفير قد يقع من البغض والذم والعقوبة - وهو العدوان - أو من ترك المحبة والدعاء والإحسان - وهو التفريط - ببعض هذه التأويلات مما لا يسوغ ، وجماع ذلك ظلم في حق الله - تعالى - أو في حق المخلوق. كما بينته في غير هذا الموضع ، ولهذا قال أحمد بن حنبل لبعض أصحابه: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس)[ج19 ، ص71-75].

والمفارقون للسنة منهم المغالون المعتدون ومنهم المفرطون الجاهلون :

صار كثير من أهل البدع مثل الخوارج والروافض والقدرية والجهمية والممثلة - يعتقدون اعتقاداً هو ضلال يرونه هو الحق ، ويرون كفر من خالفهم في ذلك ، فيصير منهم شوب قوي من أهل الكتاب في كفرهم بالحق وظلمهم للخلق.
ولعل أكثر هؤلاء المكفرين يكفر (بالمقالة) التي لا تفهم حقيقتها ولا تعرف حجتها.
وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب ، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه ، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه ، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ، ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم ، بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذماً مطلقاً ، لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع. وما يقوله أهل البدعة والفرقة ، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع ، وهذه

الطريقة قد تغلب على كثير من المفارقين للسنة الذين سقطوا في هذه البدع وفي غيرها لأنهم يقرنون بين الخطأ والإثم.
"فأما الصديقون والشهداء والصالحون فليسوا بمعصومين ، وهذا في الذنوب المحققة ، وأما ما اجتهدوا فيه: فتارة يصيبون ، وتارة يخطئون ، فإذا ما اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهادهم ، وخطؤهم مغفور لهم. وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين ، فتارة يغلون فيهم ، ويقولون إنهم معصومون ، وتارة يجفون عنهم ، ويقولون : إنهم باغون بالخطأ . وأهل العلم والإيمان لا يعصمون ولا يؤثمون . ومن هذا الباب تولد كثير من فرق أهل البدع والضلال" [ج35،ص69-70] .

الأعياد والمناسبات المعتبرة في الإسلام

محمد عثمان

الأعياد جمع عيد. والعيد اسم لـمـا يعـود من الاجتماع العام على وجه معتاد ، عائد: إما بعود السنة ، أو بعود الأسبوع أو بعود الشهور ، أو نحو ذلك. فالعيد يجمع أموراً ، منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة.
ومنها: اجتماع فيه.
ومنها: أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات وقد يختص ذلك بمكان بعينه .
وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً (1).
فالزمان كقوله - صلى الله عليه وسلم - ليوم الجمعة: "إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً" (رواه ابن ماجه).
والاجـتـمـاع والأعـمــال كقول ابن عباس: "شهدت العيد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.." (متفق عليه). والمكان كقوله - صلى الله عليه وسلم -:"لا تتخذوا قبري عيداً".

وقــد يـكـون لفظ العيد اسماً لمجموع العيد والعمل فيه وهو الغالب كقوله - صلى الله عليه وسلم-:"دعهما يا أبا بكر ! ؛ فإن لكل قوم عيداً وإن هذا عيدنا" (متفق عليه).
لقد أكثر الناس القول في اعتبار المناسبات في الإسلام وعدم اعتبارها ، ووقع فيها الإفراط والـتـفـريـــط، وإذا نـظـرت إلى شريعة الإسلام وأحداثه عامة وخاصة؛ تجد المناسبات أو الأعياد على قسمين:
مناسبة معتبرة عني بها الشرع لما فيها من عظة وذكرى تتجدد مع تجدد الأيام والأجيال وتعود على الفرد والجماعة بالتزود منها.
ومناسبة لم تعتبر ، إما لاقتصارها في ذاتها ، أو عدم استطاعة الأفراد مسايرتها.
فمن الأول يوم الجمعة ، وقد عني بها الإسلام في الحث على القراءة المنوه عنها في صلاة الفجر ، وفي الحث على أدائها والحفاوة بها من اغتسال وطيب وتبكير إليها ، ولكن من غــير غلو ولا إفــــراط. فقد جاء النهي عن صوم يومها وحده دون أن يسبق بصوم قبله أو يـلـحـق بــصــوم بعده. كما نهى عن إفراد ليلتها بقيام ، والنصوص في ذلك متضافرة ثابتة معلومة.
فكان يوم الجمعة مناسبة معتبرة مع اعتدال وتوجه إلى الله بدون إفراط أو تفريط. وذلك أن يــوم الجـمـعـة هـو يــوم آدم عليه السلام، فيه خلق، وفيه خلقت فيه الروح، وفيه أسكن الجنة ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه تِيبَ عليه ، وفيه تقوم الساعة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - تعالى - بهذه المناسبة: "إن قراءة سورة السجدة وسورة الإنسان معاً في يوم الجمعة لمناسبة خلق آدم في يوم الجمعة ليتذكر الإنسان في هذا اليوم - وهو يوم الجمعة - مبدأ خلق أبيه ادم ، ومبدأ خلق عموم الإنـــســـان ، ويتذكر مصيره ومنتهاه ليرى ما هو عليه من دعوة الرسول وهل هو شاكر أو كـــفــور ؟) [أضواء البيان].
وكما قيل يوم الجمعة يوم آدم، قيل في يوم الاثنين يوم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم - أي فيه وُلد ، وفيه أنزل عليه، فقد جاء عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه سئل عن صيام يوم الاثنين.

فقال: "هذا يوم ولدت فيه وعليَّ فيه أنزل" (2) وكان يوم وصـــوله المدينة في الهجرة.
أما ما يفعله كثير من الناس في هذه الأزمنة من احتفالات ومظاهر فقد حدث ذلك بعد أن لم يكن لا في القرن الأول ولا الثاني ولا الثالث وهي القرون المشهود لها بالخير كما جاء الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". والذين أحدثوا هذه البدعة هم الفاطميون في القرن الرابع. يقول الشيخ محمد أمين الشنقيطي - رحمة الله عليه -: "وقد افترق الناس في هذا الأمر إلى فريقين: فريق ينكره وينكر على من يفعله ، لعدم فعل السلف إياه ولا مجيء أثر في ذلك. وفريق يراه جائزاً لعدم النهي عنه ، وقد يشدد كل فريق على الآخر في هذه المسألة ولشيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" كلام وسط في غاية الإنصاف. نورد موجزه لجزالته والله الهادي إلى سواء السبيل.
قال - رحمه الله - في فصل قد عقده للأعياد المحدثة فذكر أول جمعة من رجب ، وعيد غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة حيث خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - وحث على اتباع السنة وأهل بيته ثم أتى إلى عمل المولد.
وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في عيد ميلاد المسيح ، وإما محبة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيماً له ، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولده -صلى الله عليه وسلم- عيداً مع اختلاف الناس في مولده أي في ربيع أو في رمضان فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع له.
يضيف شيخ الإسلام: "ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف - رضي الله عنهم - أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص.
وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سننه باطناً وظاهراً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب

واليد واللسان. فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.
وأكثر هؤلاء الذين تراهم حرصاء على أمثال هذه البدع - مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة - تجدهم فاترين في أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه ، أو يصلي فيه قليلاً ، وبمنزلة من يتخذ المسابيح والسجادات المزخرفة وأمثال هذه الزخارف الظاهرة - التي لم تشرع - ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها" اهـ (اقتضاء ، ص295).
وليس بصحيح ما يزعمه بعض المبتدعة من تسمية المولد إحياءً لذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؛ فالله أحيا ذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيث قرن ذكره مع ذكره - تعالى - في الشهادتين ومع كل أذان وكل إقامة لأداء صلاة وفي كل تشهد في فرض أو نفل مما يزيد على الثلاثين مرة.
ومن المناسبات المعتبرة شهر رمضان المبارك بكامله لكونه أنزل فيه القرآن:((»شَهْرُ رَمَضَانَ الَذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ«)) [البقرة:185].
ومن المناسبات ليلة القدر لبدء نزول القرآن فيها لقوله - تعالى -: ((»إنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ (1) ومَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ (2)«)) [القدر] ، ثم بين مقدارها ((لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)« وبين خواصها »تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (4)«)) ، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحتفي بها ويلتمسها في العشر الأواخر وفي الوتر من العشر الأواخر ، فكان -صلى الله عليه وسلم- يعتكف العشرة كلها التماساً لتلك الليلة.
روى البخاري في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله ، وجد وشد المئزر".
ومن المناسبات يوم عاشوراء ، فلقد كان لهذا اليوم تاريخ قديم ، وكانت العرب تعظمه في الجاهلية وتكسو فيه الكعبة ، ولما قدم

النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة وجد اليهود يصومونه ؛ فقال لهم: لِمَ تصومونه ؟ فقالوا: يوماً نجى الله فيه موسى من فرعون فصامه شكراً له ، فصمناه. فقال -صلى الله عليه وسلم-: نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه".
روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسُئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه نبي الله موسى وبني إسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماً له. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: نحن أولى بموسى منكم ، فأمر بصومه.
إن نجاة نبي الله موسى من عدو الله فرعون مناسبة عظيمة ، نصرة الحق على الباطل وانتصار جند الله وإهلاك جند الشيطان. وهذا بحق مناسبة يهتم لها كل مسلم ؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام: "نحن أحق بموسى منكم ؛ نحن - معشر الأنبياء - أبناء علاّت ، ديننا واحد".
وقد كان صيام عاشوراء فرضاً حتى نُسخ بفرض رمضان وهكذا مع عظيم مناسبته من إعلان كلمة الله ونصرة رسوله كان ابتهاج موسى عليه السلام به في صيامه شكراً لله.
ومن هذه المناسبات المعتبرة عيد الفطر وعيد الأضحى وهما مناسبتان عظيمتان لحديث أنس بن مالك الذي رواه أبو داود في سننه: "قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى" (رواه أبو داود والحديث على شرط مسلم).
ومما يعتبر ذا صلة بهذا المبحث في الجملة ما نقله الإمام ابن كثير في تفسيره - عند قوله تعالى: ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً)) [المائدة:3] - قال عندها:
"روى الإمام أحمد عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا - معشر اليهود - نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية ؟ قال: قوله: »اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ« ؛ فقال عمر: والله إنى لأعلم اليوم الذين نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، والساعة التي نزلت فيها عشية عرفة في يوم الجمعة" (رواه البخاري ومسلم).
وروي عن كعب قوله: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه.

الأعياد غير المعتبرة في الإسلام:

عيد الميلاد:

يحتفل النصارى بيوم ولادة عيسى ويظهرون الأفراح والسرور ويعطلون الدوائر والأعمال ، ويهنئ بعضهم بعضاً ، ويتزاورون ويظهرون شعار دينهم ، وقد قلدهم وشابههم كثير من جهال المسلمين وذوي الرئاسة والسياسة. ففي أعمال كثير من المسلمين في هذا العيد أنهم يعطلون الدوائر الحكومية والشركات وبعض التجار الكبار تعظيماً لهذا اليوم ، احتراماً له ويزورون أصدقاءهم النصارى ويرسلون لمن كان منهم بعيداً بطاقات تهنئة. والرؤساء والملوك يرسلون برقيات تهنئة للدول التي تزعم أنها تدين بالمسيحية.
وهذا العيد وغيره من الأعياد التي ابتلي بها كثير من البلاد الإسلامية - كعيد الوطن ، وكعيد العلم ، وعيد الأم وعيد الشجرة وعيد النظافة ، وعيد الولادة ، وعيد الأسرة ، وعيد الأولياء -كلها محرمة في دين الإسلام ؛ لمشابهتها الكفار في أعيادهم ولا شك أن في هذا إحياءً لسنن الجاهلية ، وإماتة الشرائع الاسلامية في قلوب المسلمين ، وإن كان أكثر الناس لا يشعرون بذلك لشدة استحكام ظلمة الجاهلية في قلوبهم ، ولا ينفعهم ذلك الجهل عذراً بل هو الجريمة التي تولّد عنها كل الجرائم من الكفر والفسوق والعصيان.
قال شيخ الإسلام: إن أعياد أهل الكتاب والأعاجم نهي عنها لسببين:
1- أحدهما: أن فيها مشابهة للكفار.
2- والثانى: أنها من البدع.
فما أحدث من المواسم والأعياد هو منكر ؛ وإن لم يكن فيه مشابهة لأهل الكتاب من وجهين:

أحدهما: أن ذلك داخل في مسمى البدع والمحدثات ؛ فيدخل فيما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش ، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم ، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد.. فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد. وشر الأمور محدثاتها. وكل بدعة ضلالة" (اقتضاء الصراط المستقيم ص266).
وحديث أبي سعيد في الصحيحين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم. قلنا: يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟! ، قال: فمَن ؟! ".

بدع الشهور:

هناك بدع كثيرة يصعب حصرها في هذه العجالة ولكني أذكر نبذة منها:
1- استقبال الرافضة شهر محرّم بالحزن والهم والخرافات والأباطيل ، فيصنعون ضريحاً من الخشب مزيناً بالأوراق الملونة يسمونه ضريح الحسين أو كربلاء. وخلال هذا الشهر تمنع الزينة فتضع النسوة زينتهن ولا يأكل الناس اللحوم وتشعل النيران ويتواثب الناس عليها والأطفال يطوفون الطرقات يصيحون: يا حسين !.. يا حسين !.
2- بدع صفر: كان بعض الناس يمتنعون فيه عن السفر أو إقامة أي حفل ، ويظهرون التشاؤم والتطير.
3- ربيع الأول: بدعة المولد ، أي إقامة احتفالات لمولد النبي -صلى الله عليه وسلم- وكذلك ما يسمونه بليلة الإسراء والمعراج فتقام الولائم وتضاء الشموع وتصلَّى النوافل.
4- وفي شعبان: ما يسمونه ليلة النصف من ليلة البراءة ؛ حيث يعتقدون غفران الذنوب وإطالة الأعمار وزيادة الأرزاق.
5- بدع شهر رمضان: اهتمام الناس بالجمعة الأخيرة منه فيصلي مَن كان لا يصلي بقية أيامه.

والصواب - الذي عليه المحققون من أهل العلم - النهي عن إفراد هذا اليوم بالصوم ، وعن
هذه الصلاة المحدثة ، وعن كل تعظيم لهذا اليوم من صنع الأطعمة وإظهار الزينة ونحو ذلك حتى يكون هذا اليوم بمنزلة غيره من بقية الأيام وحتى لا يكون له مزيَّة أصلاً .

الخلاصة:

خلاصة القول أننا نستفيد من هذه العجالة أموراً:

* منها أن الإسلام لم يشرع الاحتفال بولادة أو بموت أحد.

* ومنها: أن هذه المناسبات قد تعددت حتى غدا الإسلام احتفالات وأعياداً. فقد يقول قائل: أنا أحتفل بيوم ولادة النبي - عليه الصلاة والسلام - وقد يقول آخر: أحتفل بيوم الهجرة ؛ لأنه بالهجرة فرَّق الله بين الحق والباطل واعتز المسلمون وصارت لهم دولة ؛ فتستحق الاحتفال بها ، وإظهار التعظيم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم -.

وقد يقول آخر: أنا أحتفل بيوم بدر ؛ لأنه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، يوم أن نصر الله المسلمين على المشركين. وقد يقول آخر: أنا أحتفل بيوم فتح مكة يوم دخل الناس في دين الله أفواجاً . وقد يقول آخر: أنا أحتفل بيوم وفاته يوم انتقل إلى الرفيق الأعلى...

وهكذا تتعدد الآراء ويتفرق الناس على غير هدى ، ومن غير دليل شرعي يحسم النزاع ، ويوفر الجهد.

الهوامش:

1 - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص189، ط. دار المعرفة.

2 - مسند الإمام أحمد ، ج5 ، ص279-299 ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام.

التجديد في الإسلام

(4)

الإمام الشافعي

لا خلاف بين من يعتد برأيه من الـمـسلمين أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي هو معلمة بارزة من معالم ثقافتنا الإسلامية، وإذا جـاز لـنـا أن نـباهي الثقافات والأمم الأخرى بعالم نعتز به ، هو نتاج خالص لديننا وحضارتنا ، وهو نـبـت أصيل للفكر الإسلامي وللعبقرية الإسلامية في الفقه والتشريع ، وفي وضوح الفكرة وسمو التعبير عنها ؛ فليس ثَم إلا الإمام الشافعي.
وُلد الشافعي بغزة سنة 150هـ ، وغزة ليست موطن آبائه ، وإنما خرج أبوه إدريس إليها في حاجة، فمات هناك، وولد له ابنه محمد، وبعد سنتين من ميلاده حملته أمه إلى موطن آبـائـه "مـكـة"، وبها نـشـأ يـتـيـماً في حجر أمه، فحفظ القرآن صغيراً، ثم خرج إلى هذيل بالبادية فحفظ كثيراً من شعرهم ، ثم عاد ولزم مسلم بن خالد الزنجي ، وهو شيخ الحرم ومفتيه ، وقد قال له شيخه - وهو ابن خمس عشرة سنة -: "أفتِ يا أبا عبد الله ، فقد - والله - آن لك أن تفتي".
ثم طلب الشافعيّ من شيخه أن يكتب له إلى مالك بن أنس - إمام دار الهجرة ومحدثها - فكتب له، فرحل إلى المدينة، حتى أتى مـالـكـاً، وكان قد حفظ الموطأ ، فقرأه عليه، وكان مالك يعجب بقراءته.
اكتسب الشافعي خلال هذه الفترة فقه مسلم بن خالد ، وحديث إمامين عظيمين ، إليهما انتهى حديث أهل الحجاز وهما:
سفيان بن عيينة في مكة ، ومالك بن أنس في المدينة.

قدم الشافعي العراق ثلاث مرات:

* المرة الأولى عام 184 هـ ، حيث حمل - بأمر الرشيد - إلى العراق بتهمة التشيع ، وفي هذه القَدْمة اختلط الشافعي بفقهاء العراق، واطلع على طرائقهم، والتقى بمحمد بن الحسن الشيباني (صاحب أبي حنيفة - رحمه الله -) ، وله مناظرات معه ، اطلع الرشيد على بعضها فسُر بها وأعجب بها وأكثر هذه المناظرات موجود في كتب الشافعي.
* ثم عاد إلى الحجاز، وبقي بمكة مدة ، ثم عنَّ له أن يقدم العراق ثانية ، وكان ذلك عام 195هـ ، بعد أن مات الرشيد ، وفي هذه المرة كان صيته قد ذاع وانتشر ، ولُقب "بناصر السنة" وعظمت

منزلته حتى انضم إليه جماعة من العلماء، وصاروا يأخذون عنه ، وتركوا ما كانوا عليه من طرائق سابقة ، وهناك أملى عليهم كتبه التي كتبها في مذهبه القديم ، وأقام سنتين ، ثم عاد إلى الحجاز.

* وفي عام 198هـ قدم العراق للمرة الثالثة، ولم يلبث إلا أشهراً ومن هناك سافر إلى مصر، فدخلها سنة 199هـ ، "فأقام بها إلى أن مات ، يعلم الناس السنة وفقه السنة والكتاب، ويـناظـر مـخـالـفـيه ويحاجهم، وأكثرهم من أتباع شيخه مالك بن أنس، وكانوا متعصبين لمـذهـبـه، فـبـهـرهم الشـافعي بعلمه وهديه وعقله، رأوا رجلاً لم تر الأعين مثله، فـلـزمـوا مجلسه، يفيدون منه علم الكتاب، وعلم الحديث، ويأخذون عنه اللغة والأنساب والشعر، ويفيدهم في بعض وقته في الطب ، ثم يتعلمون منه أدب الجدل والمناظرة ، ويؤلف الكتب بخطه ، فيقرؤون عليه ما ينسخونه منها ، أو يملي عليهم بعضها إملاءً ، فرجع أكثرهم عما كانوا يتعصبون له ، وتعلموا منه الاجتهاد ونبذ التقليد ، فملأ الشافعي طباق الأرض علماً". (مقدمة تحقيق الرسالة للشيخ أحمد محمد شاكر ص7).

وخطوات حياة الشافعي ، وتفصيلات سيرته ودقائقها قيدها العلماء الذين أفردوا مؤلفات في سيرته ومناقبه - رحمه الله - ومن أشهرهم:

البيهقي ، والفخر الرازي ، وابن حجر العسقلاني. ومن أفضل من ترجم له ترجمة مختصرة وافية كافية بعيدة عن الفضول النووي في كتابه: تهذيب الأسماء واللغات.

على أن الذي يعنينا الآن هو أثر الشافعي في التشريع الإسلامي ، والإضافة التي أضافها ، فاعتبر - بحق - مجدد المائة الثانية وخير ما يمثل الأساس الذي بنى عليه الشافعيّ فقهه هو رسالته الأصولية، التي تعتبر أول مؤلف في أصول الفقه، واعتبر الإمام الشافعيّ بسببها الواضع الأول لهذا العلم.

قال تلميذه المزني في الرسالة: "قرأت الرسالة خمسمائة مرة، ما من مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة".

وقال أيضاً : "أنـا أنـظـر في الـرسـالـة من خـمـسيـن سنة، ما أعلم أني نظرت فيها مرة إلا استفدت منها شيئاً لم أكن عرفته".

سبب كلام الشافعي في أصول الفقه:

بيّن ذلك العلامة شاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - في رسالته "الإنصاف في بيان سبب الاختلاف" (ص52) - فقال:
".. إن الأوائل كان يجتمع عند كل واحد منهم أحاديث بلده وآثاره، ولا تجتمع أحاديث البلاد، فإذا تعارضت عليه الأدلة في أحاديث بلده حكم في ذلك التعارض بنوع من الفراسة بحسب ما تيسر له.
ثم اجتمعت في عصر الشافعي أحاديث البلاد جميعها فوقع التعارض في أحاديث البلاد ومختارات فقهائها مرتين:
* مرة فيما بين أحاديث بلد وآخر.
* ومرة في أحاديث بلد واحد فيما بينها.
واقتصر كل رجل بشيخه فيما رأى من الفراسة، فاتسع الخرق، وكثر الشغب، وهجم على الناس - من كل جانب - من الاختلافات ما لم يكن بحساب، فبقوا متحـيرين مدهوشين، لا يستطيعون سبيلاً، حتى جاء تأييد من ربهم، فألهم الشافعي قواعد جمع هذه المختلفات ، وفتح لمن بعده باباً ، وأي باب" ا. هـ.
وهكذا كتب الشافعي "رسالته" التي تعتبر من أعظم الآثار الإسلامية ، ولو لم يكن للشافعي إلا هذا الأثر لكفاه لكي يوضع في سجل الخالدين ، ويكفي دليلاً على ذلك اهتمام العلماء "بالرسالة" وحرصهم على اقتنائها ودرسها قديماً و حديثاً .

أسس فقه الشافعي:

الشافعي يحتج بظواهر القرآن حتى يقوم دليل على أن المراد بها غير ظاهرها ، ثم السنة ، وقد دافع دفاعاً شديداً عن العمل بخبر الآحاد ، ما دام راويه ثقة ضابطاً ، وما دام متصلاً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد نال بنصره السنة المكانة العظيمة عند أهل الحديث حتى أطلقوا عليه لقب "ناصر السنة" ، وهو يرى أن السنة الصحيحة كالقرآن في وجوب اتباعها ، وعبارته في ذلك مشهورة: "وأن من قَبِلَ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعن الله قبِل".
ويقول بالإجماع، ومعناه عنده عدم العلم بوجود خلاف، فإذا لم يكن هناك دليل منصوص عمد إلى القياس.

وقد أبطل الاستحسان ، وردّ على من قال به بشدة ، وما أحسن قولة الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيق الرسالة (ص 55):

"إن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء الإسلام ، في فقه الكتاب والسنة ، ونفوذ النظر فيهما ، ودقة الاستنباط ، مع قوة العارضة ، ونور البصيرة ، والإبداع في إقامة الحجة ، وإفحام مُناظره. فصيح اللسان ، ناصع البيان ، في الذروة العليا من البلاغة. تأدب بأدب البادية ، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر ، حتى سما عن كل عالم قبله وبعده. نبغ في الحجاز، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة ، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، ولم يكن الكثير منهم أهل لَسَنٍ وجدل ، وكانوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي ، فجاء هذا الشاب يناظر وينافح ، ويعرف كيف يقوم بحجته ، وكيف يلزم أهل الرأي وجوب اتباع السنة ، وكيف يثبت لهم الحجة في خبر الواحد ، وكيف يفصّل للناس طرق فهم الكتاب على ما عرف من بيان العرب وفصاحتهم ، وكيف يدلهم على الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، وعلى الجمع بين ما ظاهره التعارض فيهما ، أو في أحدهما. حتى سماه أهل مكة "ناصر الحديث" ، وتواترت أخباره إلى علماء الإسلام في عصره ، فكانوا يفدون إلى مكة للحج ، يناظرونه ويأخذون عنه في حياة شيوخه".

ومن الأمور التي يمتاز بها الشافعيّ عن غيره من العلماء أنه هو الذي أصّل أصول مذهبه ، وكتب الكتب التي تعتبر متناً لفقهه.

"وأما مذهب الشافعي فأكثر المذاهب مجتهداً مطلقاً ، ومجتهداً في المذهب ، وأكثر المذاهب أصولياً ومتكلماً ، وأوفرها مفسراً للقرآن وشارحاً للحديث ، وأشدها إسناداً ورواية ، وأقواها ضبطاً لنصوص الإمام ، وأشدها تميزاً بين أقوال الإمام ووجوه الأصحاب ، وأكثرها اعتناءً بترجيح بعض الأقوال والوجوه على بعض ، وكل ذلك لا يخفى على من مارس المذاهب واشتغل بها" (رسالة "الإنصاف" للدهلوي ، ص85).

وقد غلب في عرف العلماء المتقدمين والفقهاء الخراسانيين على متبعي مذهبه لقب "أصحاب الحديث" في القديم والحديث ، كما

قال النووي ، لكنه اعترف - أعني النووي - بأن أكثر متأخري الشافعية لم يلتزموا طريق الشافعي في التزامه بالأحاديث الصحيحة ، وتركه الضعيفة والواهية. (تهذيب الأسماء واللغات 1/51).

تجديد الشافعي:

*** إن المأثرة الكبرى** للشافعي هي رد الناس إلى السنة ، بعد أن اختلط الأمر على كثير من العلماء ، وتمايزوا إلى طبقتين متنافرتين متباعدتين ، على ما في كل منهما من الحاجة إلى الأخرى ، وهم أصحاب الحديث ، وأهل الفقه والنظر.

*** والمأثرة الثانية:** التزامه بالدليل ، ودورانه معه حيث دار ، ونبذه للـتـقـلـيد ، فقد قال لأحمد بن حنبل:"أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب إليه ؛ كوفياً ، أو بصرياً ، أو شامياً" (حجة الله البالغة ، 1/148). وقال أيضاً: "إذا صح الحديث فهو مذهبي".

وقال أيضاً: "إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث ، واضربوا بكلامي الحائط".

وقال تلميذه المزني: "اختصرت هذا من علم الشافعي ، ومن معنى قوله ، لأقربه على من أراد ، مع إعلامه نهيه عن تقليده ، وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ، ويحتاط لنفسه" (مختصر المزني على هامش الأم ، 1/2).

وقد كانت آراء الشافعي وفقهه تطبيقاً عملياً لهذه الميزة، قال ابـن تـيـمـيـة فـي الفـتـاوى (20/332):

".. ثم إن الشافعي رضي الله عنه لما كان مجتهداً في العلم، ورأى من الأحاديث الصحيحة وغيرها من الأدلة ما يجب عليه اتباعه - وإن خالف قول أصحاب المدنيين - قام بما رآه واجباً عليه، وصنف الإملاء على مسائل ابن القاسم، وأظهر خلاف مالك فيما خالفه فيه، وقد أحسن الشافعي فيما فعل ، وقام بما يجب عليه ، وإن قد كره ذلك من كرهه وآذوه ، وجرت محنة مصرية معروفة".

الميزة الثالثة: أنه لما رأى أن أصول الآراء ليست مضبوطة عند الفقهاء قبله ، وكان يتطرق إليها الخلل بسبب ذلك ؛ وضع أصول الفقه ، ودوّن "الرسالة".

الميزة الرابعة : تفريقه بين الرأي والقياس:

فقد "رأى قوماً من الفقهاء يخلطون الرأي الذي لم يسوّغه الشرع ، بالقياس الذي أثبته ، فلا يميزون واحداً منها من الآخر ، ويسمونه تارة بالاستحسان - وأعني بالرأي أن ينصب مظنة حرج أو مصلحة علة لحكم ، وإنما القياس أن تخرج العلة من الحكم المنصوص ويدار عليها الحكم - فأبطل هذا النوع أتم إبطال وقال: "من استحسن فإنه أراد أن يكون شارعاً".

وبالجملة ، فلما رأى الشافعيّ في صنيع الأوائل مثل هذه الأمور أخذ الفقه من الرأس فأسّس الأصول ، وفرع الفروع ، وصنف الكتب ، وأفاد وأجاد ، واجتمع عليها الفقهاء ، وتصرفوا اختصاراً وشرحاً واستدلالاً وتخريجاً ، ثم تفرقوا في البلدان (حجة الله البالغة للدهلوي ، 1/147).

الميزة الخامسة : أن الشافعي لم يحصر نفسه في دائرة علم الحديث وحده ، أو الفقه وحده ، بل كان محدثاً فقيهاً وفقيهاً محدثاً ، بل تعداهما إلى أن يكون حجة في غيرهما ، كاللغة ، والشعر ، والأنساب ، قال الإمام أحمد بن حنبل:

"الشافعيّ فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة ، واختلاف الناس ، والمعاني ، والفقه" (مناقب الشافعيّ للبيهقي ، 2/42).

وهذا ما أكسبه سعة الأفق ، وعمق البحث ، وقوة العارضة والذي نحب أن نشير إليه هنا هو عدم اكتفائه بفصاحته الموروثة ، فهو "عربي الأصل ، عربي اللسان" ، بل نراه "أقام على العربية وأيام الناس عشرين سنة ، وقال: ما أردت بهذا إلا الاستعانة على الفقه" (مناقب الشافعيّ ، 2/42).

وفصاحة الشافعي في مناظراته وكتبه مما لا تحتاج إلى إقامة الدليل عليها ، ولكننا نشير إلى هذه الميزة وننوه بها ؛ لما نراه من تقصير - من الدعاة وطلبة العلم وورثته في هذا العصر - في تعلم العربية ، وزهدهم بها ، وعدم إحلالها المحل الذي تستحق من اهتماماتهم ، بل وإشاحتهم عن التزود بما لا يحسن جهله منها

شأن علمائنا السابقين الذين كانوا يرون تعلم لغة القرآن ديناً ، وما لا يتم الواجب به فهو واجب.
فـعـنـدمـا نـقـرأ قـول الشافـعي: "أروي لثلاثمائة شاعر مجنون" وأنه أخذ عنه كبار علماء الـعـربـية شـعـر هذيل لا نطالب حَمَلَة الدعوة الإسلامية اليوم بما يشبه ذلك، ولا بـعـشـر مـعـشـاره، ولـكـن نـطـالبهم أن يحبوا لغة قرآنهم، ولغة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -، وحاوية ثقافتهم، وعنوان هويتهم. وأن يبتعدوا عن كل ما من شأنه تنقص هذه اللغة ، وأن ينبذوا الأفكار الشعوبية التي أطلت برأسها من جديد، مسلحة بإعلام قـوي تنـفـق علـيه مئات الملايين، فألقت بظلالها على فكر كثير من المسلمين، الذين أصبحوا ينشدون الإسلام من المصادر الأعجمية ، غير مبالين بما لذلك من مردود مرذول ، سيعلمون نبأه بعد حين.

بعض أقوال العلماء في الإمام الشافعي:

إن أقوال العلماء في بيان فضل الشافعي ، وشهاداتهم له تعز عن الحصر ، وقد اخترنا بعضها إشارة بالجزء على الكل ، واكتفاءً بالقليل عن الكثير.
قال الزعفراني: "كان أصحاب الحديث رقوداً ، فأيقظهم الشافعي فتيقظوا".
وقال الإمام أحمد: "ما أحد مس بيده محبرة ولا قلماً ، إلا وللشافعي في رقبته منّة" ، وبعث إليه أبو يوسف (صاحب أبي حنيفة) يقرئه السلام ويقول: "صَنف الكتب ، فإنك أولى من يصنف في هذا الزمان".
وقال أبو حسان الرازي: "ما رأيت محمد بن الحسن يعـظـم أحـداً مـن أهل العلم تعظـيمه للشافعي - رحمه الله -".
وقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم: "ما رأيت أحداً أعقل ولا أورع ولا أفصح ولا أنبل رأياً من الشافعي".
وقال الكرابيسي: " ما رأيت مجلساً قط أنبل من مجلس الشافعي ، كان يحضره أهل الحديث ، وأهل الفقه ، وأهل الشعر ، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر ، فكلٌّ يتكلم فيه" رضي الله عنه.

الدعوة إلى الله بين الأسلوب والمضمون

د.صلاح عبد الفتاح الخالدي

وجوب الدعوة إلى الله:

يـتـفـق المسلـمـون على أهـمـية الـدعــوة إلى الله، ويـتـحـدث كـثـيــرون عـن وجوبها على المسلمين، ونحن مع هـؤلاء فـي وجـوب الـدعوة إلى الله والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر ونـشـر الفـضـيـلـة ومحاربة الرذيلة، وتذكير الناس ووعظهم ونـصـحهم ... إن هذا واجب على جميع المسلمين، على اختلاف مـسـتـوياتـهـم، ولـكـن هــذا الواجب يتفاوت بتفاوت المسلمين علماً وفطنة وأسلوباً ومركزاً وعملاً ووقتاً ..

وهذا الوجوب مستفاد من آيات كثيرة صريحة في القرآن .. كما في قول الله - سبحانه -: ((ولْـتَـكُـن مِّـنـكُـمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَــنِ المُنكَرِ وأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ))[آل عمران:104]، وقوله سبحانه -:((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْــرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))[آل عمران:110] وقوله - سبحانه -:((قُــلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي))[يوسف:108] وقوله - سبحانه - ((ادْعُ إلَى سَـبِـيــلِ رَبِّـكَ بِالْـحِـكْـمَـةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّـتِــي هِـيَ أَحْـسَــنُ)) [النحل:125] ، وقوله - سبحانه - : ((يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ المُنكَرِ واصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ))[لقمان:17] .

من أصناف المدعوين واستقبالهم للدعوة:

استقبال المدعوين للدعوة إلى الله ليس على صورة واحدة مطردة ، ولكنهم ينقسمون إلى أصناف عديدة: فمنهم من يرضى بها ويُقبل عليها ويتفاعل معها، ويستجيب لأصحابها، ويثني عليهم ويتقبل كلامهم ، ويدعو لهم ، وهذا الصنف الطيب الخيِّر موجود بكثرة بين جماهير المسلمين .

ومنهم من يغلق قلبه أمامها ، ويصمّ أذنيه عن سماعها ، ويعرض ويدبر ويتولى ، ويرفض أن يتفاعل معها.

ومنهم من يرفضها ويتوجه إلى الداعين بالاتهام والسخرية والاستهزاء والانتقاد ، ويجعلهم هم السبب في رفض الدعوة ، ويتهمهم في أسلوبهم ومنطقهم وتعاملهم مع المدعوين .. يتهمهم بالتزمت والتعصب والعنف والقسوة والإيذاء.
ومنهم - وبخاصة إذا كان صاحب مركز أو سلطان - مَن يرفض الدعوة ويتهم أصحابها ، ثم يوقع بهم من الإيذاء والتعذيب والاضطهاد ما يوقع ، ويصدر في حقهم من الاتهامات والانتقادات والإشاعات ما يصدر .. إنهم متعصبون.. متطرفون.. يصدون الناس عن الدين..

نصائح في عرض الدعوة:

يقوم بعض المسلمين -وبخاصة ممن يشغلون مراكز إسلامية رسمية - بتقديم نصائح للدعاة بخصوص عرض الدعوة ، ومخاطبة المدعوين بها ، ويظهرون فيها حرصهم على توصيلها وحسن تقديمها.. ويستشهدون في هذه النصائح بآيات من القرآن تدل على أسلوب الدعوة ، وبعض هؤلاء الناصحين لا ينقصه حسن النية ونبل الباعث ، ولكنه قد ينقصه حسن الاستدلال والاستشهاد والفهم لمعانى الآيات..

الآيات التي يستشهدون بها:

يعتمد هؤلاء الناصحون على آية صريحة في أساليب الدعوة إلى الله ، وهي قول الله - سبحانه :((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [النحل:125]
ويستخرجون منها أساليب عرض الدعوة على المدعوين ، ويقولون إنها ثلاثة أساليب : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن.. ويطالبون الدعاة بالتزامها في مخاطبة المدعوين.. وهذا حق وواجب ، لا مرية فيه..

فهم بعضهم للمقصود بالحكمة والموعظة الحسنة:

والعجيب أن بعضهم يفهم المقصود بالحكمة والموعظة الحسنة فهماً خاطئاً يفرغ به الدعوة من جوهرها ومضمونها وغايتها ، ويخلطون فيه خلطاً شديداً بين أساليب عرض الدعوة وبين جوهرها ومضمونها ، فيعممون الأسلوب على المضمون والجوهر.

يستخدم بعضهم هذه الآية في أساليب الدعوة في اتهام دعاة صريحين جريئين في دعوتهم، ويعتبرون هذه الصراحة والجرأة منافية للحكمة والموعظة الحسنة ، ويصنفون هذه الفضائل ضمن المعوقات ، ويجعلون صاحبها متصفاً بالتطرف والتزمت والتشدد والعنف والحدة والقسوة والانفعال والإساءة.. أما المتصف بالحكمة والموعظة الحسنة - عند هؤلاء - فهو الذي يقبل بالانحرافات ، ويرضى بتصرفات أصحابها ، ويرتاد الأماكن والمجالس والمحافل التي تجري فيها مخالفات شرعية ، ويتباسط مع المخالفين فيها ، ويسكت عن البيان والدعوة والنصح ..
أما إذا قام بالنصح في هذه المجالس والمحافل ، والتذكير والوعظ لأصحابها ، فإنه مجانب لأساليب الدعوة الحكيمة ، متصف بالغلظة والشدة والقسوة..
أما إذا قام بالإنكار وغادر المجلس ، أو لم يحضره أصلاً ، فإنه متصف بالتزمت والتعصب والتطرف.. والإسلام بريء من كل هذا والدعاة لا يتصفون بهذا !!.

الدعوة بين الأسلوب والمضمون:

إن هؤلاء - كما قلنا - يخلطون بين أسلوب عرض الدعوة وطريقة الاتصال بالمدعوين ، وبين جوهر الدعوة ومضمونها وما يقال للمدعوين عنها. وإن الخلط بين هذين الأمرين ، وعدم التمييز والتفريق بينهما يوقع بعض المسلمين في خطأ في فهم الآيات ، وخطأ في التعامل مع الآخرين ، وخطأ في توصيل الدعوة لهم ، وخطأ في تقديم الدعوة لهم ، وخطأ في النتائج التي قد يحققونها من خلال ذلك . وهي - كما قلنا - مبنية على خطأ أساسي وهو المتعلق بفهم آيات الدعوة وإدراك معانيها واستخراج دلالاتها..

الفرق بين الأسلوب والمضمون:

هناك فرق واضح بين الأمرين ، بين الأسلوب والمضمون. بين المنهج والطريقة ، بين جوهر الفكرة وأسلوب تقديمها ، بين الموضوع وكيفية تقديمه.. فرق بين ماذا نقول للناس وبين كيفية هذا القول للناس ، وآداب تقديمه للناس..

وأي خلط بين هذه الأمور في موضوع الدعوة يوقع الدعاة والمدعوين، والناصحين الموجهين، والناقدين المنظِّرين في نتائج خاطئة .

الأسلوب أو الطريقة أو الكيفية إنما في آداب الدعوة وعرضها وتقديمها للناس. في الصورة التي نقدم الدعوة من خلالها. والإطار الذي نضعها فيه ، والآداب التي نراعيها فيها.. في شكل الداعية الخارجي في مظهره وهندامه وتصرفاته وحركاته.. في طريقته في العرض والكلام.. في نبرة صوته وقسمات وجهه وحركات يديه وانفعالات كيانه.. في طريقة اتصاله بالمدعوين وتعامله معهم وتقديم نفسه ودعوته لهم..

أما المضمون والجوهر فهو في نفس الكلام الذي يقوله وليس طريقة قوله.. في الحقيقة التي يقررها وليس في طريقة تقريرها.. في الموضوع الذي بينه وليس في طريقة بيانه والتعبير عنه..

وبعض الناس يجعل المضمون والجوهر والحقيقة والفكرة من الأسلوب والطريقة ، فيقع في تحريف وتمييع في هذا المضمون والجوهر ، ولا يقدم الحقيقة كما يريد الله ، فيخطئ في تقديم الدعوة ، ويقصر في تبليغها..

هدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذا :

كل من أمعن في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وطريقته في تبليغ الدعوة ومخاطبة الآخرين ، يرى الفرق واضحاً بين أسلوبه في عرض الدعوة ومضمونها الذي بلّغه للناس، يرى الفرق واضحاً بين طريقته في مخاطبة الناس في الدعوة وكيفية هذه المخاطبة، وبين الموضوع الذي خاطبهم فيه ..

أساس دعوته ومضمونها وجوهرها : أن يوحدوا الله ، ويؤمنوا برسوله - عليه الصلاة والسلام - ، هذا لم يتغير في أي ظرف أو زمان أو مكان . هناك حقائق وقواعد وأسس لم يتنازل عنها أو يتراجع ، ولم يفاوض حولها أو يهادن أو يساوم : إن المؤمنين هم أهل الجنة ، وإن الكافرين هم أصحاب النار ، إن الكافرين ليسوا على دين ، وإن الحق حق والباطل باطل، وإن المعروف

مطلوب والمنكر مذموم متروك.. إلى غير ذلك من الحقائـق الثابتة والقواعد الراسخة..
أمــا أسـلـوبـه في تقديم هذه الـحـقـائـق، والـصـدع بهذه الأوامر، فقد كان متصفاً بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ..

ودوا لو تدهن فيدهنون :

لقد أزعج الكافرين ثبات الرسول -صلى الله عليه وسلم- على مضمون الدعوة وجوهرها. وعدم تراجعه عنها ومساومته عليها ، ونجاحه في سلوك الأسلوب الناجح في عرض هذه الحقائق وتقديمها للناس.. أزعجهم تفريقه بين الأسلوب والمضمون ، وفصله بين ما يجب أن يقال وكيفية وطريقة أن يقال..
ولهذا أرادوا أن يساوموه ويداهنوه ، أرادوا منه أن يتراجع عن موقفه ، ويتنازل عن خصائصه..
((ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ))[القلم:9] أرادوا أن يضيعوا المضمون ويميعوا الحق ، فعرضوا عليه الالتقاء في منتصف الطريق : نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً ! ؛ فجاء الحسم من الله في عدم المساومة على الحقائق ((قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ (1) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (4) ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ (6)))[سورة الكافرون] .
أرادوا أن يحرفوه عن الحق الذي معه ، وأن يفتنوه عن الذي أوحاه الله إليه : ((وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * ولَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً))[الإسراء:73-75] .

نماذج من الحقائق التي بلّغها :

أمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يبلغ كل ما أمره به ، وأن لا يخفي من جوهره ومضمونه شيئاً، وأن لا يخشى في الحق لومة لائم؛ فقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وإن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)) [المائدة:67] .

ولاحظ الـتـعـبـيـر باسـم المـوصـول ((مَا أُنزِلَ إلَيْكَ)) واسم الموصول يفيد العموم والشمول والاسـتـغـراق .. يـعـني بلغ الناس كل الذي أنزل إليك من ربك ، وإن أخفيت بعضه فما بلغت رسالته .. ((واحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إلَيْكَ)) [المائدة:49] .

وقد كلف الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بتبليغ حقائق دينه وموضوع دعوته بكلمة "قل" ، وهي "قل التكليفية التلقينية" وقد وردت هذه الكلمة التكليفية ثلاثمائة واثنتين وثلاثين مرة في القرآن الكريم (انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي:57-575) وكثرة ورودها دليل على أهمية تبليغ مضمون الدعوة وكثرة الحقائق التي يجب تقديمها للناس..

ونختار فيما يلى بعض هذه الحقائق التي كلف الرسول -صلى الله عليه وسلم- ببيانها ، والتي يظن بعض الناس أنها مما تخضع للإخفاء والمداهنة والمساومة ، والتي قد يكلف تبليغها جهداً ومشقة وعنتاً وإرهاقاً ، والتي قد يصيب المبلّغ فيها أذى وضراً .. والتي قد يعتبر تبليغها نوعاً من الغلظة والعنف والقسوة مما لا يتفق مع الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة :

((قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرُونَ إلَى جَهَنَّمَ وبِئْسَ المِهَادُ)) [آل عمران:12] .

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ ومَا أُنزِلَ إلَيْنَا ومَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ))[المائدة:59].

((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ والإنجِيلَ ومَا أُنزِلَ إلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ولَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وكُفْراً))[المائدة:68] .

((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وأُوحِيَ إلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ ومَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إنَّمَا هُوَ إلَهٌ واحِدٌ وإنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ))[الأنعام:19].

((قُلْ إنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ))[الأنعام:56] .

((فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً ولَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُواً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الخَالِفِينَ))[التوبة:83] .
((وقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن ومَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً)) [الكهف:29] .
((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً))[الكهف:103-104] .
((قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ))
[سورة الكافرون:1-3] .

موسى أمام فرعون والقول اللين :

وكما نجد التفريق واضحاً في طريقة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الدعوة ، بين الأسلوب والمضمون، نجد هذا واضحاً في هدي الأنبياء السابقين - عليهم السلام - ونختار منهم موسى - عليه الصلاة والسلام - ؛ فقد كلفه الله بالذهاب إلى فرعون : ((اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى)) [النازعات:17-19].
وكلفه في سورة طه مع أخيه هارون عليهما السلام :((اذْهَبْ أَنتَ وأَخُوكَ بِآيَاتِي ولا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) [طه:42-44] .
ونفهم من هذه الآيات أنها تدل على أسلوب تقديم الدعوة إلى فرعون ، وطريقة توصيلها له ولقومه ، واستخدام أسلوب الترغيب والحث والتحضيض: ((هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى)) .. هل لك ؟ بهذا اللطف والترغيب وحسن العرض و الإقناع.
((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً)) ، القول اللين إنما هو في طريقة القول وكيفيته ودرجته وحالته.. إن هذه الآيات لا تتحدث عن جوهر الدعوة ، ولا مضمونها ، وإنما عن طريقة عرضها وأسلوب تقديمها..

ماذا قال موسى لفرعون ؟ ، ما هي الحقائق التي قدمها له بالأسلوب اللين الهادئ ؟.
((قَالَ فِرْعَوْنُ ومَا رَبُّ العَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ إنَّ رَسُولَكُمُ الَذِي أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ المَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ومَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ))[الشعراء:23-31].
هل تنازل موسى في هذه الآيات عن الأسلوب الهادئ والقول اللين في عرض الدعوة ؟ كلا. وهل خلط بين الأسلوب والمضمون ، بين ما قال وكيف قال ؟ كلا.
عندما اتهم فرعون موسى بأنه مسحور ، وهاجمه في دعوته ، هل سكت موسى - عليه السلام - من باب القول اللين والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ نستمع إلى آيات الاسراء..
((ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إسْرَائِيلَ إذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ وإنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً))[الإسراء:101-102] .
بماذا نصف موسى - عليه السلام - عندما قال ذلك لو لم يكن موسى نبياً ؟، ولو كان داعية يعيش في هذا الزمان، وقال هذا الكلام نفسه، ماذا يقولون عنه ؟، وبماذا يصفونه؟ ، ومع من يصنفونه ؟ مع المتزمتين المتشددين المتطرفين المتعصبين أصحاب الغلظة والشدة والقسوة والعنف ؟!!.

مضمون الدعوة لا يتغير:

مضمون الدعوة وجوهرها لا يتغير، وحقائق الدعوة ومبادئها لا تتبدل، بل تبقى ثابتة على اختلاف الزمان والمكان والظروف والأشخاص.. إن هذه الأمور غير خاضعة للتغيير أو التبديل أو الاجتهاد أو النسخ ، لأننا لسنا نحن الذين فردناها أو اخترناها ، بل إن الله رب العالمين - سبحانه - هو الذي تكفل بأفرادها واختيارها وبيانها لنا ، وطالبنا أن نلتزم بها وأن لا نخرج عنها.

والداعية مطالَب أن يبلغها كلها للناس ، وإن لم يفعل فما قام بالمطلوب ولا بلّغ الرسالة.. ويحرم عليه أن يخفي منها واحدة ، أو يجبن عن بيان واحدة ، أو يفاوض ويداهن على واحدة ، و يساوم على حساب واحدة ، أو يؤجل أو يعطل واحدة ، أو يحرف في معنى واحدة ، أو يستحي من الجهر بواحدة .. إن الداعية مطالب بالصدع بالأمر ، والجهر بالحق ، والقيام بالواجب..
مضمون الدعوة ثابت ، وحقائقها راسخة.. وكل من اعتدى عليها لينال رضاء الناس والقبول لديهم فقد خان الأمانة ونقض العهد وباء بسخط من الله ((فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ووَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ))[البقرة:79].
من حقائق الدعوة الثابتة التي لا تغيير فيها ولا تبديل: بيان الحق والباطل، وبيان الطريق إلى الله، وبيان الدين عند الله، وبيان أوصاف الذين يحبهم الله ، وأوصاف الذين يبغضهم الله، وبيان الوظـيـفـة والغاية وبـيـان الحلال والحرام، والمعروف والمنكر، وبيان ما يقرره الإسلام ، وما يبطله في حياة الأفراد والأمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والسلوكية والإيمانية ، وبيان أوصاف الكافرين والظالمين والمعتدين..
والـداعـيـة في هذه الموضوعات وغيرها ليس مجتهداً ولا مبتدعاً، وإنما هو ملتزم بما ورد منها في الكتاب والسنة، فواجبه هو أن يتدبرهما ويستخرج منهما بيان هذه الحقائق وتحديدها وتفصيلها .. ((وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ))[الأنعام:55] .

وجوب تحسين الأسلوب ومراعاة آداب الدعوة:

الداعية الناجح - الذي يريد أن يوصل الدعوة إلى قلوب الآخرين ، ويوجد عندهم القناعة بها والـقـبول لها - يعمل باستمرار على تحسين أسلوبه في عرضها وتقديمها ، وطريقته في الـتـعـامــل مع الآخرين ، ويستخدم أفضل الأساليب وأجودها وأجملها ، ويدعو بالحكمة والـمـوعـظـة الحسـنة ويجادل بالتي هي أحسن، ويقدم مضمون الدعوة وحقائقها في غاية اللطف والرقة واللين، بحيث يكون أسلوبه سبباً في قبولها، لو كانت مُرَّة شديدة !

والـداعــيــة يجـدد في الأساليب، ويلون في وجوه البيان، وينوع في طرق الخطاب والأداء، ويضيف إلى ذلك كل نافع وجديد وناجح ومؤثر..
وعـلـى الـداعـيــة أن يـراعي آداب الدعوة ، وهدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الدعوة للناس ، وطـريـقـة الصحـابة والعلماء في تقديمها للناس. ويلتزم بهذه الآداب من مثل التواضع والحِلم والأناة واللين والرفق والصبر والسماحة والبشاشة والرقة والمحبة والــصـــدق..
ويتجنب أضداد هذه الأمور ، فلا يكون فظاً غليظ القلب ، ولا يكون مـتـكبراً متعالياً ، ولا قاسياً ولا عنيفاً ولا غَضوباً ولا متهوراً ولا نزقاً ولا نكداً ولا معسراً .
وخلاصة هذه المسألة أن على الداعية أن يفرق بين الأسـلـوب والـمـضـمـون فيطور في الأول وينوع ويجتهد ، أما الثاني فإنه ملتزم فيه بالأصول وَقَّاف عند النصوص.

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

باكستان أمام التحديات

إعداد : محمد أحمد عبد الله

شهدت باكستان أحداثاً دامية خلال شهر ربيع الثانى من هذا العام، وذلك عندما قامت قوات الأمن بتفتيش منطقة "سوهراب جوت" في مدينة كراتشي (كبرى المدن الباكستانية، والتي يزيد عدد سـكـانـهـا على سبعة ملايين نسمة) وقـد شاركت قوات الجيش في حملة التـفـتـيـش التي أسـفـرت عن ضبط 300 كيلو غرام هـيـروين، و6 أطنان من الماريجوانا ، وكميات أخرى كبيرة من الحشيش والأفيون ، قُدرت قيمتها بنصف مليار دولار - كـمـا ذكرت وكالات الأنباء - وهذا الرقم لا يساوي شيئاً أمام الأرقـام الـتـي يمـلـكـهـا تــجـار المخدرات من البضائع والأموال.
وتعد منطقة "سوهراب جوت" من أكبر مراكز تهريب المخدرات في العالم ، ومنها يجري تصدير المخدرات إلى آسيا ، ودول أوربا الغربية ، والولايات المتحدة الأميركية ، ودول أميركا اللاتينية.

وعندما عجز تجار المخدرات عن مقاومة السلطة - كما كانوا يفعلون كل مرة - صبوا جام غضبهم على "المهاجرين"، (والمهاجرون هم الذين قدِموا من الهند عند تقسيمها عام 1974 يتكلمون لغة "الأردو")؛ لأنهم يتهمون المهاجرين بأنهم وراء تحريش الـسـلـطـة ضـدهم، وأخذت المعركة شكلاً آخر . لقد كانت بين السلطة وطائفة "الباشتون" (وطائفة الباشتون قدموا كراتشي من الإقليم الشمالى الغربي للبلاد ومن أفغانستان ، وأصلهم واحد ، ويتكلمون لغة تسمى "بالبوشتو") . فأصبحت المعركة بين الباشتون والمهاجرين ، وتدخلت السلطة ، وفرضت حظر التجول على بعض أحياء المدينة ، ورغم ذلك فقد أسفرت هذه المعارك عن قتل حوالي 180 شخصاً ، وجرح ما يزيد على 700 آخرين ، واعتقال ما يقارب ضِعف هذا العدد.
ووقفت وكالات الأنباء العالمية والصحف الشرقية والغربية من الأحداث موقفاً عدائياً ليس فيه عدل ولا موضوعية. لقد صورت الأحداث وكأنها ثورة شعبية سياسية تتزعمها "بي نظير بوتو" ابنة "علي بوتو"، وحاولت "بي نظير" استغلال الأحداث وراحت تصْدر التصريحات والبيانات ، وتراهن على قطاع الطرق وتجار المخدرات ...
وأخيراً تمكنت السلطة بعد عدة أيام من وقف نزيف الدم ، وتم ترحيل 25 ألفاً من اللاجئين الأفغان عن كراتشي إلى مخيم قريب منها ؛ لأن قوات الأمن اتهمتهم بتزويد المقاتلين بالأسلحة ، وخذل الشعب المسلم في باكستان "بي نظير" فيما دعت إليه من مظاهرات ، وعلم الغرب والشرق أن باكستان ليست كالفلبين ، وليست "بي نظير" مثل "أكينو" ، ولو كانت بي نظير مخلصة لوطنها لوقفت مع السلطة ضد تجار المخدرات وقطاع الطرق ، ولكنها مثل أبيها و"الولد سر أبيه" - كما يقولون - ، ولقد كان أبوها أحد الأسباب المهمة في انفصال "بنغلاديش" عن باكستان.
ومع هذا فقد تمكنت السلطة من السيطرة على الموقف خلال بضعة أيام ، وها قد مضى شهر على الأحداث .. ومع ذلك فإننا نعتقد بأن المؤامرات التي يدبرها أعداء الإسلام ضد باكستان المسلمة - لم تنتهِ.

ومن منطلق المحبة والخوف على مستقبل إخواننا المسلمين في باكستان - أحببنا أن نضع النقاط على حروفها ، ونميط اللثام عن المتآمرين في الداخل والخارج ، ونحذر إخواننا العلماء والدعاة من نقاط الضعف التي يتسلل من خلالها العدو إلى صفوفنا ، ومما لا شك فيه أن فهم المشكلة جزء مهم من حلها ، وعدم فهمها كارثة وخيمة العواقب.
وهناك جهات كثيرة تتآمر على باكستان أهمها وأخطرها:

1 - الاتحاد السوفياتي :

الذي احتلت جيوشه أفغانستان المسلمة منذ سبعة أعوام ، وظن أن احتلال أفغانستان سوف يكون كاحتلال بُخارى وطشقند وغيرهما من بلاد المسلمين ، وفوجئ الشيوعيون الحمر بمقاومة لم يكونوا يتصورونها ، ولقد تحولت سهول أفغانستان وهضابها ووديانها إلى مقبرة للشيوعيين الروس ، وحرك جهاد المسلمين همم إخوانهم المسلمين في المناطق الواقعة جنوب الاتحاد السوفياتي فانطلقوا يقاومون ومنهم من سارع إلى الانضمام إلى قوات المسلمين المجاهدين الأفغان ، ومنهم من يعمل ويدعو إلى الله بصورة سرية ، ومنهم من أخذ يشارك في مظاهرات ضد السلطة... ويخشى السوفييت أن يعم الجهاد الإسلامي فيشمل أفغانستان والبلدان الإسلامية التي ترزح تحت الاحتلال الشيوعى ، وإذا عمت الثورة ووقف المسلمون في مختلف بلدان العالم إلى جانبها ، فلسوف تسقط أسطورة الدولة الشيوعية العظمى ، وتقوم دولة إسلامية عظمى تشمل باكستان وأفغانستان والبلدان الإسلامية الواقعة جنوب الاتحاد السوفييتى ، كما تشمل بنغلاديش والهند.
ومن جهة أخرى يعلم الاتحاد السوفييتى أن باكستان سبب مهم من أسباب استمرار الجهاد الإسلامي الأفغاني ؛ لأنها استقبلت اللاجئين الأفغان ، وسمحت للمجاهدين منهم أن ينطلقوا من أرضها... ولهذا فهي تحاول إقناع باكستان بالتخلي عن دعم المجاهدين الأفغان ، وتسعى - عن طريق الامم المتحدة - إلى الوصول إلى حل مع باكستان حول المشكلة الأفغانية ، ولن يكون هذا الحل في مصلحة المجاهدين ، ومن شاء مزيداً من التفاصيل

فليراجع "رسالة مفتوحة إلى المجاهدين الأفغان" في العدد الأول من مجلتنا "البيان" .
ومن جهة ثالثة يعمل قادة موسكو من أجل تفجير معارك داخلية في باكستان مستغلين التناقضات الإقليمية ، والمشكلات الاقتصادية ، والأحزاب العلمانية الجاهلية ، ولهذا الغرض فهم يوزعون الأموال والسلاح على عملائهم داخل باكستان ، وعلى حدودها الشمالية والشمالية الغربية ، ومن المؤسف أن الاتحاد السوفياتي ضم بعض أجزاء أفغانستان إليه وأصبح من الدول المجاورة لباكستان في حدودها القريبة من الصين.

2 - الهند :

منذ عام 1947 والهند تتآمر على باكستان ، وتحاول تمزيق وحدتها ، وإضعاف كيانها ، والسيطرة على أجزاء من أرضها بالقوة.
ومن الأمثلة على ذلك: كشمير التي تسيطر الهند على معظمها في حين يتبع جزء منها باكستان ، والمثال الثاني المؤامرة التي انتهت بفصل بنغلاديش عن باكستان ، ولقد خاض الجيش الهندي معركة طاحنة ضد الجيش الباكستانى من أجل تنفيذ هذه المؤامرة.
وفي كل مرة تعتدي فيها الهند على باكستان تتذرع بأعذار واهية ، ومن ذلك قولها : إن باكستان تدعم طائفة السيخ ، وتدربهم على السلاح.. وقولها : إن المفاعل النووي الباكستانى يشكل خطراً على الهند.
والحقيقة أن باكستان لا تتآمر على الهند ، وليست المشكلة في المفاعل الذري الباكستاني ولا في تدريب السيخ وغيرهم وإنما المشكلة أن الهند تخشى من أن تصبح باكستان دولة كبرى ، كما تخشى من مجىء حكم إسلامي صحيح ، ينجح في جمع شتات المسلمين في جنوب الهند ومشرقها ، ويعجز عُبَّاد البقر عن مواجهة الرجال الذين يعبدون الواحد القهار.. ومن أجل هذا يضطهد عباد البقر إخواننا المسلمين في الهند ، ويحرصون على استمرار سيطرتهم على كشمير.. ومن أجل هذا أيضاً خاضت الهند حرباً ضروساً مع باكستان من أجل سلخ "بنغلاديش" عنها..

ومن أجل هذا تتعاون الهند مع الاتحاد السوفياتي وغيره ، ويجري جيشها مناورات على حدود باكستان.

3 - الولايات المتحدة الأميركية :

من الخطوط العريضة لسياسة الولايات المتحدة الأميركية في دول العالم الإسلامي أن لا يجتمع المسلمون في دولة كبرى ، حتى ولو كانت هذه الدولة لا تُحكِّم شرع الله.. ومن أجل هذا تحرص الولايات المتحدة على تحجيم دور الباكستان ، وعندما وقف الاتحاد السوفياتي إلى جانب الهند في حربها مع باكستان التي انتهت بانفصال بنغلاديش عنها - لم تحرك الولايات المتحدة ساكناً ، رغم أن هذه الحرب تجري داخل مناطق لها سيطرة عليها.. لكنها كانت تعلم أن نتائج هذه الحرب تخدم سياسة الدول الكبرى كلها.

ومن أجل تحجيم دور باكستان كانت الولايات المتحدة تفرض على هذا البلد أنظمة عسكرية همها البطش بالجماعات الإسلامية ، والتنكيل بها ، ومن الأمثلة على ذلك حكم أيوب خان ، ويحيى خان.. وإن نسينا فلا ننسى أن السفير الأميركي "جيفرسون كافري" - الذي لعب دوراً مهماً في مصر ضد الإسلاميين - نقلته الولايات المتحدة إلى باكستان بعد انتهاء دوره في مصر (التي تحتل أهمية كبرى في البلدان العربية ، ويشكل الإسلاميون فيها قوة لا ينكرها أحد)، وبـعـد وصـولـه إلى بـاكـسـتـان بـزمـن يـسـير قام أيوب خان باعتقال الإسلاميين في باكستان (وباكستان تمثل - كما قلنا قبل قليل - دوراً مهماً في أواسط آسيا وجنوبها الشرقي) .

وقد يقول القائل ولكن الولايات المتحدة تساعد باكستان وتمدها بالمال والسلاح ، وجوابنا على ذلك: إن للولايات المتحدة الأميركية مصالح من استمرار القتال في أفغانستان ، ولن تقبل - إن اسـتـطـاعـت - بحال من الأحوال أن يكون الحكم في باكستان وأفـغـانـسـتـان للإسلاميين ، وها هي تتآمر من خلال مفاوضات جنيف على الجماعات الأفغانية الطيبة التي تنادي باستمرار الجهاد .. وبعد رضوخ الاتحاد السوفياتي لمطالبها ، سوف تعمل على إنهاء القتال ، وتقطع المساعدات التي تقدمها لأتباعها ، وقد تغير

موقفها من النظام القائم في باكستان، فقبل احتلال السوفييت لأفغانستان كانت العلاقات متوترة بين الرئيس الباكستاني ، والولايات المتحدة الأميركية ، وكان الرئيس الأمريكي السابق كارتر يتهم الرئيس الباكستانى بانتهاك حقوق الإنسان مع أنه إذا كان الأخير ينتهك حقوق الإنسان في باكستان فزعماء البيت الأبيض يضطهدون الأفراد والأمم في العالم كله .. وعلى كل حال فقد قلنا ما فيه الكفاية عن الولايات المتحدة في رسالتنا "رسالة مفتوحة إلى المجاهدين الأفغان" .

4- "إسرائيل":

رغم تعدد الانقلابات العسكرية وتباين سياسة الحكومات، فقد كان للحكومات الباكستانية الـمـتـعـاقـبة موقـف ثابت من العدو الصهيونى في فلسطين المحتلة، وهذا الموقف نابع من مـشـاعـر المسلمـيـن في باكـسـتـان، وكانت أية حكومة لا تجرؤ على الاصطدام مع مشاعر المسلمين الذين لا يقبلون إقامة علاقات دبلوماسية مع نظام العدو الصهيونى.. ومن المؤسف أن بعض الأنظمة العربية كانت تـقـف إلـى جانـب الهند في نزاعها مع باكستان ، أو مع الاتـحـاد الـسـوفـيـاتـي في احـتـلالـه لأفغانستان.. ولهذا كانت "إسرائيل" تدعم كل عدو لباكستان ، وقد تحدث وزير خارجية العدو الصهيوني السابق (موشي دايان) في مذكراته عن التعاون السري بين الهند و"إسرائيل" كما تحدث غيره.. وتحاول "إسرائيل" ضرب المفاعل النووي في باكستان.

أيها الإخوة المسلمون في باكستان - من علماء ودعاة ، وشيب وشباب -:

إننا نتوجه إليكم بهذا النداء - لأنكم أملنا بعد الله سبحانه وتعالى - فصمودكم نصر مبين ، ووعيكم صخرة تتحطم عليها المؤامرات والمتآمرين.

أيها الإخوة ! نحن لا نثق بزعماء الانقلابات العسكرية ، ولا نعلق عليهم آمالاً مهما زعموا ووعدوا ، فحكمهم ابتداءً يقوم على الغدر ، ولا يعرف الاستقرار وإن طال أمده وكثر أنصاره.. ونحن - يا إخوة ! - الذين نكتوي بنار المؤامرات ، أما زعماء الانقلابات فيهربون ويهرِّبون معهم الأموال.

اسمعوها منا - أيها الإخوة ! - صريحة واضحة: أن الزلازل والبراكين تكثر في الأرض التي تكثر فيها الشقوق ، والشقوق في أرضكم كثيرة ومن أهمها ما يلي:

1- أليس من المخجل أن تكون باكستان من أكثر بلدان العالم اهتماما بتجارة المخدرات ، وماذا نقول عن نظام زعم أن مهمته تحكيم شرع الله ، وها قد مضى على استلامه السلطة بضع سنين ، وهو يعرف حجم تجارة المخدرات ، ومن الذين يعملون بهذه التجارة ، كما يعرف الأوكار التي يجري تخزين المخدرات فيها ، فلماذا لم يضع حداً لهذه المأساة ؟!.

هذا عن المخدرات ، أما السرقة والتزوير والنصب فلا تقل أهمية المخدرات.

2 - مَن المسؤول عن تغلغل الشيوعية وعملائها في بلدكم ؟!

لقد أهمل العلماء والدعاة منطقة "بلوشستان" التي تحدها أفغانستان من الشمال ، وإيران من الغرب ، وعاصمتها "كويتا" ، واهتم الشيوعيون بهذه المنطقة ، فاستقبلت موسكو أعداداً كبيرة من الطلبة من أبناء "بلوشستان" يدرسون مجاناً في معاهد وجامعات الاتحاد السوفييتي ، ولهذا صار مَن يمشي في مدينة "جمن" يشاهد بضع مئات من أعلام الحزب الشيوعى في حين يشاهد بضعة أعلام للدولة ، وبضعة أعلام لجماعات العلماء المسلمين.. كما يسمع من يسير في هذه المنطقة الأطفال وهم ينشدون أناشيد تشيد بدولة "بشتونستان" المزعومة وهذا يعني أنه حتى الأطفال في هذه المنطقة يعلمون ويتطلعون ويتغنون بذلك اليوم الذي تنفصل فيه "بلوشستان" عن باكستان ، وفضلاً عن ذلك ، فالمنطقة تزخر بالجواسيس الذين يتجسسون للاتحاد السوفياتي ضد المجاهدين الأفغان.. فماذا صنعت السلطة في باكستان ضد هذه المؤامرة ؟!

هنالك "بنغلاديش" ثانية فماذا فعلتم يا إخواننا في باكستان ؟!

وليس ما ذكرناه عن "بلوشستان " كل ما عند الشيوعيين السوفييت من نشاط ، فهناك نشاط للشيوعيين في جميع أنحاء باكستان ، ويمدهم السوفييت بكل دعم مادياً كان أو معنوياً ، وهناك أحزاب علمانية تتعامل مع الاتحاد السوفييتي أمثال الحزب

الوطنى الديموقراطي الذي يتزعمه خان عبد الولي خان ، ويدعو هذا الحزب إلى إقامة وطن خاص يشمل الذين يتكلمون لغة (البشتو) . والحزب الوطني الاشتراكى ، ويتزعمه "غوث بخش بزنجو " ويدعو كذلك إلى إقامة وطن خاص بالذين يتكلمون لغة (البشتو) ، وله صلات قديمة مع الاتحاد السوفييتي ، غير أن الذي يميزه عن الشيوعيين إيمانه بالقومية البلوشية ، ولكن من منطلق اشتراكى علمانى.

وهناك أحزاب علمانية مستعدة للتحالف مع أي عدو خارجي يساعدهم في الوصول إلى السلطة ، لا فرق في ذلك عندهم بين الاتحاد السوفييتي أو الولايات المتحدة الأميركية أو غيرهما ، ومن أبرز هذه الأحزاب ، حزب الشعب الذي تتزعمه "بي نظير بوتو". وهذه الأحزاب تشن دعاية سيئة ضد المجاهدين الأفغان ، وتضغط على السلطة من أجل إخراجهم من باكستان .. وتستغل النزعات الإقليمية ضد إخواننا الأفغان الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيل الله -تعالى - ، ولا يجوز أن نستهين بخطر هذه الأحزاب وآثارها.. ولا ندري لماذا تتركهم السلطة يسرحون ويمرحون ، وبشكل أخص في مثل هذه الأجواء الخطيرة ؟!

فإذا قيل لنا هكذا يكون الحكم في البلاد الديمقراطية !!. قلنا : ليس للخائن حق في التآمر على بلده ، ولا يعطيه القانون حرية الاتصال والتعاون مع دولة أجنبية عدوة ، ولا تسمح أية دولة في العالم بمثل هذه الحرية المزعومة.

3- أما الحديث عن أنشطة الباطنيين المريبة في باكستان فيثير في نفوسنا الأشجان،ويحرك في قلوبنا وجوارحنا الأحزان.

هل من قبيل المصادفة أن يصل إلى أعلى المراتب في باكستان - ومنذ بداية تأسيسها عام 1947م - ثلاثة من الباطنيين ؟!

وهـل من قـبـيـل المـصـادفـة أن يتعاقب هؤلاء الثلاثة على الحكم ، وأن يتصرفوا في شؤون البلاد كما يشاءون طيلة عهد الاستقلال ؟!

وهل من قبيل المصادفة أن يكون أحدهم رمزاً كبيراً جداً من رموز الاستقلال ، وهو الذي رفض تحكيم شرع الله في هذا البلد المسلم الطيب الذي انفصل عن الهند (1) ليتسنى له ممارسة

حرية العبادة والاعتقاد والتشريع كما أمر الله - سبحانه وتعالى - ، وكما نصت عليه سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ؟!
وهل من قبيل المصادفة أن تضطهد هذه الأنظمة الباطنية قادة الجماعات الإسلامية ، الذين يكرهون العنف والإرهاب ، ويدعون إلى الله - تعالى - بالحكمة والموعظة الحسنة؟!
وقد يقول قائل ما لنا والعصور السوالف ، وهل عندكم شيء تقدمونه عن واقعنا المعاصر؟!
نقول : إن الحاضر يرتبط بالماضي أشد الارتباط وأوثقه ، والذين لعبوا دوراً في العصور السوالف - كما تقولون - لا يزال أبناؤهم وأحفادهم يعملون ، وآثارهم الظاهرة تدل عليهم ، ونؤكد أن لهم أهدافاً يسعون بمختلف الوسائل والأساليب من أجل تحقيقها ، ودعونا نسألكم بعض الأسئلة:
من الذين يحركون دفة الاقتصاد في كراتشي وعدد آخر من المدن الباكستانية .. وهذا التخطيط هل جاء مصادفة أم أن هناك عقولاً باطنية بل ومن غلاة الباطنية - تخطط في باكستان كما خطط الموارنة في لبنان ، وكما خطط اليهود في فلسطين المحتلة؟!
أنشأ الباطنيون جامعات حديثة في بلدكم ، فيها مختلف الاختصاصات العلمية ،ولديها إمكانات مادية كبيرة ، وتجذب إليها عدداً غير قليل من أبناء المسلمين من باكستان وغيرها من دول جنوب شرق آسيا ، ودول الشرق الأقصى ، ويبثون سمومهم في هذه الجامعات وكأنهم في عالم آخر لا يمتّ إلى بلدكم بصلة ، وتعلمون أن الذين ينتسبون إلى هذه المعاهد والجامعات مستعدون لتقبل كل ما يقال لهم من أكاذيب وأباطيل الباطنيين ، فهل اطّلعتم على حقيقة هذه المعاهد والجامعات وأهداف القائمين عليها؟!
ومن الذين احتجوا على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي عند صدوره؟! .. من الذين قادوا مظاهرات الاحتجاج ، وعقدوا ندوات الاستنكار ، وقالوا بكل وقاحة: إن شريعتنا تختلف عن شريعتكم ، وكانت الأوامر تصدر إليهم من العاصمة إياها المتخصصة بخلق الفتن والاضطرابات في مختلف بلدان العالم الإسلامي ؟!

إن للباطنيين - يا إخوة ! - على مختلف فرقهم وانتماءاتهم أوكاراً كثيرة وكثيرة جداً في باكستان ، ومن هذه الأوكار :
المكتبات ، والنوادي ، والمراكز الثقافية ، والبعثات الدبلوماسية ، ودور النشر ، والشركات ، والمؤسسات التجارية.. وابحثوا إن شئتم عن كتبهم التي تطبع في لاهور ، وما تحويه من شتم مقذع للشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، ولأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، ولذي النورين الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولعدد كبير من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- .
أليس في نشر مثل هذه الكتب تحدٍ لمشاعر مائة مليون مسلم ؟! ولا ندري من الذي أجاز نشر هذه الكتب ، ولو كان الحكم لشريعة الله حقاً لأقيم الحد على هؤلاء الجناة المجرمين!!
ابحثوا عن دسائس وخطط الباطنيين ، واكشفوا أوكارهم ، واهتكوا أستارهم ، قبل أن يأتي وقت لا ينفع فيه الندم.
4 - لقد اعتدنا عندما نتعرض لهزيمة أن نقول: تآمر علينا الأعداء ، واجتمعت علينا قوى الكفر شرقية كانت أو غربية.. وقلما ننتبه لأخطائنا التي أدت إلى هذه الهزيمة.
إننا - والحق يقال - أمة تكره النقد ، ولهذا تتكرر الهزائم ، ونلدغ من جحر واحد مرات ومرات. فعندما انفصلت "بنغلاديش" عن باكستان قلنا : جاء هذا الانفصال نتيجة مؤامرة رسم خيوطها الطابور الخامس في بنغلاديش (مجيب الرحمن وحزبه) ، والهند ، والاتحاد السوفييتي ، وغيرهما من الدول الاستعمارية.. ونحن لا ننكر مثل هذه المؤامرة لاسيما وجيش الهند خاض معركة شرسة من أجل تحقيق هذا الانفصال.. ولكن لماذا لا نبحث عن نقاط الضعف التي تسلل من خلالها العدو ؟!
لم تكن هناك مساواة بين المواطنين في باكستان الغربية ، وإخوانهم في باكستان الشرقية ، وكانت صيحات الاستنكار ترتفع وتصم الآذان في كل مدينة وقرية من قرى باكستان الشرقية ، وحزب "عوامي" - الذي كان يتزعمه مجيب الرحمن - كان ينادي بإقامة دولة خاصة بالبنغاليين ، ولم تكن مثل هذه الدعوة سراً من الأسرار ، لقد خاض الانتخابات وحاز على الأغلبية في باكستان

الشرقية ، وكان جمهور البنغاليين ينظرون إليه كمنقذ لهم مما يعانون من حرمان وجهل وفقر ، وساعده على تحقيق أهدافه أمور كثيرة ، أهمها:

1 - الظلم وعدم المساواة.

2 - فقدان الحكومة الإسلامية التي تحقق العدل ، وتحاكم مجيب الرحمن بتهمة الخيانة العظمى بسبب تعاونه مع النظام الهندوسي في دلهي ، والنظام الشيوعي في موسكو.

3- لم يكن العلماء والجماعات الإسلامية في مستوى حاجة المسلمين في قسمي باكستان ، ولم يكن بينهم حد أدنى من التعاون الذي يمكّنهم من مواجهة المؤامرة والمتآمرين.

ولهذه الأسباب مجتمعة نجح الخونة المتآمرون ، وانفصلت باكستان الشرقية عن الغربية ، ولم تتغير الأحوال بعد الانفصال ؛ فالمسلمون في "بنغلاديش" - وكل الشعب فيها من المسلمين - يعدون من أفقر شعوب العالم ، وقتل مجيب الرحمن - غير مأسوف عليه - ولم ينعم بزمن طويل من الحكم ، ولم ينقذ بلده من الفقر والجهل والتخلف.

وإن ما حدث في باكستان الشرقية قد يتكرر في "بلوشسشان" وغير بلوثسستان ، فالمشكلة لا تزال قائمة وتحتاج إلى حل سريع.

ففي بلوشستان -وكما ذكرنا قبل قليل- : فقر وجهل وتخلف ، وفيها أحزاب علمانية جاهلية تنادي بإقامة دولة خاصة بالذين يتكلمون لغة "البوشتو" .. وليس في هذه المنطقة قوة إسلامية - تستحق الذكر- تكبح جماح المتآمرين ، بل وليس هناك حد أدنى من التعاون بين العلماء والجماعات الإسلامية ، والنظام ليس متهماً بما يجري ، ولعله واثق بقوته لأن الجيش بيده ، والتغيير يبدأ من الجيش ، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل الأغلبية العظمى من الجيش من "البنجاب" ، وبشكل أخص كبار الضباط الذين لا تقل نسبتهم عن 80 %.

وكذلك كبار المسؤولين في السلطة فمعظمهم من أهل البنجاب ، ومما لا شك فيه أن الناس يعرفون مثل هذه الأمور ، وهي مثار نقد عندهم ، ويشعرون أن غيرهم مقدم عليهم ، ويستغل أعداء

الإسلام مثل هذا الظلم أسوأ استغلال.. ومن المؤسف أن تقديم وتفضيل أهل منطقة على بقية المناطق ظاهرة لها وجود في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، مع أن أبسط المعانى الإسلامية تؤكد وجوب المساواة بين المسلمين ، فلا فضل لأسود على أبيض ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أو العمل الصالح.

ومن جهة أخرى فليس الجيش كل شيء ، وانفصال " بنغلاديش" دليل على خطأ حسابات الذين يعتقدون بأن أي تغيير لا يكون إلا عن طريق الجيش.

وقصارى القول فإن الأسباب التي تسلل من خلالها العدو إلى "بنغلاديش" لا تزال موجودة في معظم مناطق باكستان وتحتاج إلى إعادة نظر من قبل المصلحين.

5 - لا ندري لماذا لا تكون هناك لغة واحدة لجميع المواطنين في باكستان ؟!

فلغة الأوردو لا ينطق بها جميع الناس في باكستان ، ومن جهة اخرى فالحكومات المتعاقبة ليست جادة في فرض هذه اللغة ، ودليلنا على ذلك أن اللغة الإنكليزية أكثر منها أهمية في معظم مؤسسات الدولة ومعاهدها وجامعاتها ، ويبدو أن هذه اللغة - أي الأوردو - ليست البديل المناسب ، ولهذا فلكل منطقة لغة خاصة بها ، ومثل هذه اللغات تعمق الانقسامات بين أبناء البلد الواحد.

وإذا كانت اللغة عاملاً مهماً من عوامل وحدة الأمة وتآلفها ، فاللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يجب أن يجتمع عليها المسلمون في باكستان ، لأنها لغة القرآن الكريم ، ولأن كل مسلم في باكستان يصلي باللغة العربية ، ويؤذن بها ، وبها يقرأ القرآن ، بل وهناك استعداد جيد عند الناس لتعلمها. وقد أحسنت الحكومة صنعاً عندما جعلت اللغة العربية مادة إجبارية في جميع المعاهد والثانويات الرسمية ، وحال دون تنفيذ هذا القرار بشكل فعال - عجز الدولة عن التعاقد مع عدد كبير جداً من المدرسين العرب لأسباب اقتصادية ، ووقوف البلدان العربية من هذا القرار موقفاً سلبياً ، إذ لم تمد لباكستان يد المساعدة والعون.. لهذا لجأت الدولة إلى تعيين مدرسين باكستانيين لتعليم العربية ، وهم -

أنفسهم - بحاجة إلى من يعلمهم العربية ، ومن بدهيات الأمور أن فاقد الشيء لا يعطيه.
إن الولايات المتحدة الأميركية لم تسمح بتعدد اللغات فيها ، مع أن المواطنين فيها وافدون إليها من مختلف البلدان الأوربية وغيرها ، ولهم لغاتهم الخاصة بهم ، ومع ذلك نجحت الحكومة في فرض اللغة الإنكليزية ، والحال في باكستان يختلف تماماً ؛ لأن تعلم العربية أمر مرغوب فيه عند كل مسلم ، وحاجة دينية ملحة ، يضاف إلى هذا وجوب توحيد اللغة ، وأن لغة "الأوردو" ضعيفة ، وعمرها قصير ومن اللغات المستحدثة.
وليعلم إخواننا في باكستان أننا لا ننطلق في هذا الاقتراح من نزعة قومية وإنما من منطلق إسلامي بحت لأننا أمة واحدة ، وما يقلق إخواننا يقلقنا ويقض مضاجعنا.
6- سيذكر المسلمون في كل مكان لإخوانهم في باكستان حسن ضيافتهم للمجاهدين الأفغان، ووقوفهم إلى جانبهم ، ومثل هذا الفضل يجب أن يستمر بعزيمة وثابة ، ووعي يقف كالسد المنيع أمام المتآمرين والخائنين مهما كان عدد هم ، واشتد بأسهم ..
وهناك أصوات ترتفع كأنها فحيح الأفاعي تزعم أن إيواء اللاجئين الأفغان خطر يجب أن تتخلص منه باكستان ، ويوماً بعد يوم يكثر عدد الذين يرددون هذه الأقاويل ، وهؤلاء إما أن يكونوا جهلة أو خونة ، ولو كانوا يملكون الحد الأدنى من الوعي والغيرة الإسلامية لما رددوا مثل هذه الأباطيل ؛ لأن احتلال الاتحاد السوفياتي لأفغانستان خطر يهدد كل مسلم في أي مكان كان من المعمورة ، وإذا توقف القتال ، ونجح البلاشفة الشيوعيون في السيطرة على أفغانستان فلن يتوقفوا عند الحدود الأفغانية الباكستانية ، وإنما سيحاولون احتلال باكستان ، ودليلنا على ذلك أنهم احتلوا أفغانستان بعد بضعة عقود من احتلالهم لبخارى وطشقند وغيرهما من البلدان الإسلامية وأصبحت جزءاً من الاتحاد السوفياتي . وإذن فالمجاهدون الأفغان يقاتلون نيابة عن المسلمين عامة ، وبشكل أخص نيابة عن جميع المسلمين في باكستان.

ومن جهة ثانية ، فهناك مؤامرة بدأت تتكشف خيوطها ، وسوف تتضح أبعادها خلال الأيام القليلة القادمة . نعم بدأت تتكشف خيوط هذه المؤامرة عندما أعلن عدو الله الذي سماه أبوه نجيب الله أنه أمر بوقف القتال، ودعا المجاهدين الأفغان إلى العودة إلى بلدهم، وزعم أنه سيشكل حكومة وطنية مشتركة ، ولن يكون هناك حزب واحد بل أحزاب متعددة ، ومما لا شك فيه أن عدو الله وسادته في الكرملين ليسوا صادقين فيما يرددون ، وإنما يريدون من وراء ذلك أمرين :

الأول: الوصول إلى حل سياسي مع باكستان يتبعه إخراج المجاهدين من باكستان.

والثاني: إذا صدق بعض المنسوبين للجهاد دعاوى الشيوعيين ، وعادوا إلى أفغانستان ، وتعاونوا مع عدو الله ؛ فسوف ينجح الشيوعيون في إحداث فتنة بين المسلمين الأفغان ، وسيبقى الجيش بأيديهم ، وسوف يعود السوفييت - إذا خرجوا - إذا اقتضى الحال وفي هذا كله خسارة كبيرة للمسلمين جميعاً ، سواء كانوا من الأفغان أو من الباكستانيين أو من غيرهم..

ولعلكم - يا إخوة ! - تشعرون معنا بالخجل والإحراج عندما نتحدث عن الباكستانيين والأفغان ، فعدونا لا يكيد لنا ويحاربنا لأننا من هذا البلد أو من ذاك .. وإنما يحاربنا لأننا مسلمون ، فلماذا لا نتحرر من الولاء للقوم أو القبيلة أو الوطن ، ونكون كما وصفنا - تعالى - في قوله: ((إنَّمَا المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ))[الحجرات:10].

وبعد ..

فإن الذي دفعنا إلى تسجيل هذه الخواطر ما يلي :

1- أهـمـيـة هـذا الـبـلـد المـسـلـم الذي يحتل حبه مكاناً مهماً في قلوبنا، فعدد المسلمين في باكستان يزيد عن مائة مليون مسلم ، وهو مرشح لجمع شمل المسلمين في الهند وبنغلاديش وأفغانستان ، وعندئذ سيصبح سكان هذه الدولة أكثر من 400 مليون مسلم ، أي ضعف سكان الولايات المتحدة الأمريكية ، ولن يسمح الشرق ولا الغرب - إن استطاعوا - بقيام مثل هذه الدولة.

2- شعورنا بأن باكستان مهددة، وتتآمر عليها دول كبرى من أهمها: الاتحاد السوفياتي، والهند ، والولايات المتحدة الأميركية

وغيرها.. ولهذه الدول جيوب خطيرة داخل باكستان تعمل في وضح النهار ، ويتعاون هؤلاء الأعداء فيما بينهم.

3 - نريد من العلماء وقادة الجماعات الإسلامية وسائر الدعاة إلى الله - سبحانه وتعالى - أن ينتبهوا إلى هذه المخاطر ، ويحذروا أشد الحذر من الباطنيين الذين يفعلون الأفاعيل داخل الصف الإسلامي ، ولا يخدعوا أنفسهم بقول بعضهم: لقد فشل حزب الشعب ولم يعد قادراً على تضليل الجماهير ، أو قول بعضهم : ليس للباطنيين ثقل في باكستان..

نريد من إخواننا أن يعلموا أن الهدم غير البناء ، وأهل الشر ينبلون عن قوس واحدة ، ولا يستطيع إخواننا أن يؤدوا دورهم إلا إذا كان بينهم تعاون وتنسيق وثقة.

ونسأل الله أن يجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه .

الهوامش :

1 - لسنا في صدد الحديث عن أسباب انفصال باكستان عن الهند ، وتحليل مواقف كبار رجال الدعوة الإسلامية ، والظروف التي رافقت هذا الانفصال .

تعريف الملأ
في الفكر الإسلامي

عثمان جمعة ضميرية

كانت الحلقة السابقة من هذا البحث تمهيداً عاماً ومدخلاً لدراسة موقف الملأ والزعماء من دعوات الرسل والأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، حيث تعرفنا على طبيعة دعوتهم التي بعثهم الله تعالى بها إلى الناس ، وأثر هذه الدعوة في النفوس ، ثم أصناف الناس أمام هذه الدعوة ومواقفها.

وفي هذه الـحـلـقـة وما يتلوها ، إن شاء الله تعالى ، نعرض لتعريف الملأ وصفاتهم ونـتـتـبع أساليبهم ووسائلهم في التصدي للدعوة، ومن ثم نعرض لموقف القرآن الكريم من هؤلاء الملأ، والرد عليهم في كل ما استعملوه من وسائل وتسويغ لمواقفهم العدائية ، ونوازن بين مواقف الملأ في تاريخ الدعوات قديماً ،

ومواقف الملأ من الدعوة الإسلامية المعاصرة ، مما يظهر أن هذا الموقف سنة طبيعية في الدعوات ، وبالله التوفيق.

تعريف الملأ:

نـعـرض فـيـما يلي طـائـفـة من أقوال أهل اللغة وعلماء التفسير عن معنى الملأ، نتبين من خـلالـهـا الصفات البارزة لهؤلاء الملأ ومعالم شخصيتهم، ونرتـب هـذه الـتعريفات بحسب الـترتـيب الـتـاريخي لحياة من نعرض أقوالهم، مما يساعد على معرفة تأثر كلٌ منهم بمن سبقه، وتطور استعمال هذا المصطلح.

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 201هـ):

في تفسير قوله تعالى:((»أَلَمْ تَرَ إلَى المَلأِ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ«)) [البقرة:246].

قـال: الملأ من بني إسرائيل ، وجوههم وأشرافهم ، ذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما رجع من بدر سمع رجلٌ من الأنصار يقول: "إنما قتلنا عجائز صلعاً" ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أولئك الملأ من قريش ، لو احتضرت فعالهم - أي حضرت - احتقرت فعالك مع فعالهم" (1).

2- الأزهري (ت 370هـ):

قال الإمام أبو منصور محمد ابن أحمد الأزهري في كتابه "تهذيب اللغة" (2):

الـمـلأ: أشـراف الـنـاس ووجوههم ؛ قال الله - عز وجل -:((»أَلَمْ تَرَ إلَى المَلأِ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ«)) [البقرة:246]، وقال:((»قَالَ المَلأُ مِن قَوْمِهِ)) «[الأعراف:60].

ورُوي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه سمع رجلاً من الأنصار - مرجعه من غزوة بدر- يقول: ما قتلنا إلا عجائز صلعاً ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أولئك الملأ من قريش ، لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك".

والملأ أيضاً: الخُلُق: يقال: أحسنْ مَلأك أيها الرجل، وأحسنوا أملاءكم ، وفي حديث أبي قتادة: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما تكابُّوا على الماء في تلك الغزاة - خيبر - لعطش نالهم ، قال: "أحسنوا أملاءكم فكلكم سيروى" (3) أي أحسنوا أخلاقكم.

ومنها قول الشاعر:

تنادَوا يالَ بُهثة إذ رأَوْنا فقلنا أحسِني مَلأً جُهينا
ويقال: أراد: أحسني ممالأة ، أي معاونة ، من قولك: مالأْتُ فلاناً ، أي عاونته وظاهرته.
وفي حديث عمر - رضي الله عنه - أنه قتل سبعة نفر بصبي قتلوه غيلة ، وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به (4).
والملأ: الرؤساء ، سُمُّوا بذلك لأنهم مِلاء بما يحتاج إليه.
قال أبو إسحاق: الملأ: الخَلْق.
قال أبو عبيد: يقال للقوم إذا تتابعوا برأيهم على أمر: قد تمالؤوا عليه.
وقال شَمِر: يقال: فلان أملأ لعيني من فلان ، أي: أتم في كل شيء ، منظراً وحسناً.
وهو مالىء للعين ، إذا أعجبك حسنه وبهجته.
وقال ابن الأعرابي: "مالأه ، إذا عاونه".

3 - وقال الإمام الخطابي (ت 388هـ):

الملأ: الرؤساء والأشراف.
يقال: هؤلاء ملأ بني فلان: أي ساداتهم ، ومن هذا قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم عليك الملأ من قريش" (5) يريد الرؤساء منهم ، وهم الملأ بالقصر والهمز. فأما الملأ مقصوراً غير مهموز فالمتسع من الأرض ، قال الشاعر:
ألا غنِّياني وارفَعا الصوتَ بالمَلا فإن الملا عندي يَزيدُ المدى بُعدا (6).
وقال أيضاً ، في شرح قول عمر - رضي الله عنه -: "لو تمالأت عليه أهل صنعاء..".
تمالأ: مهموز من الملأ: أي لو صاروا كلهم ملأً واحداً في قتله ، ويقال: مالأْتُ الرجل على الشيء إذا واطأتُه عليه (7).
مامالأت: معناه طابقت وساعدت ، وأصله مالأتُ - مهموزاً - من ملأ القوم ، يريد أنه لم يدخل في مِلأئهم ، ولم يطابقهم على رأيهم.
ويقال: ما كان هذا الأمر عن ملاء منا: أي تشاور واجتماع عليه (8).

4 - وقال العلامة اللُّغوي ابن فارس (ت 395هـ):

الملأ: الميم واللام ، يدل على المساواة والكمال في الشىء..
ومنه: الملأ: الأشراف من الناس ؛، لأنهم مُلِئُوا كرماً.
فأما قول الشاعر:
تنادوا يال بهثة إذ لقونا فقلنا أحسني ملأ جهينا
فقال قوم: أراد به الخُلُق ، وجاء في الحديث: "أحسنوا أملاءكم"
والمعنى فيه: أن حسن الخلق من سجايا الملأ ، وهم الشِّراف
الكرام (9).

5 - وقال الراغب الأصفهاني (ت 502هـ):

الملأ: جماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواءً ومنظراً،
والنفوس بهاءً وجلالاً، قال تعالى:((»أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلأِ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ«)) [البقرة:246] وقال : ((»وقَالَ المَلأُ مِن قَوْمِهِ«))
[المؤمنون:33]، ((»إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ«)) [القصص:20] ، ((
»قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ«)) [النمل:29].. الخ.
يقال: فلان مِلء العيون: أي مُعظَّم عند من رآه ، كأنه ملأ عينه
من رؤيته ، ومنه قيل: شاب مالىء العين. والملأ: الخَلق المملوء
جمالاً ، قال الشاعر: فقلنا أحسني ملأ جهينا..
ومالأته: عاونته وصرت من ملئه: أي جمعه ، نحو شايعته: أي
صرت من شيعته (10).
ة
الملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم ، وأصل الملأ: الجماعة من
الناس ، ولا واحد له من لفظه ، كالقوم والرهط .. وجمعه أملاء (
11).

7 - وقال الإمام مجد الدين بن الأثير (ت 656هـ):

تكرر ذكر الملأ في الحديث. والملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم ،
ومُقدَّموهم الذين يرجع إلى قولهم ، وجمعه أملاء.. ومنه حديث
عمر عندما طُعن: "أكان هذا عن ملأ منكم ؟" ، أي: تشاور من
أشرافكم وجماعتكم (12).

8 - وقال القرطبي (ت 671هـ):

الملأ: الأشراف من الناس ، كأنهم ممتلئون شرفاً. وقال الزجاج:
سُمُّوا بذلك لأنهم ممتلئون مما يحتاجون إليه منهم. والملأ في
قوله تعالى:((»أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلأِ«)) [البقرة:246] الـقـوم ؛ لأن

المعنى يقتضيه. والملأ: اسم للجمع كالقوم والرهط. والملأ أيضاً: حسن الخلق (13).

9 - وقال العلامة اللُّغوي ابن منظور (ت: 711هـ):

الملأ: الرؤساء ، سموا بذلك لأنهم مِلاء بما يُحتاج إليه. والملأ مهموز ومقصور: الجماعة. وقيل: أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ، ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم.. والجمع: أملاء. وحكى أحمد بن يحيى قال: رجل مالىء: جليل العين بجُهرته ، وشابّ مالىء العين: إذا كان فخماً حسناً ، ويقال: فلان أملأ لعيني من فلان: أي أتمُّ في كل شيء ، منظراً وحسناً. وهو رجل مالىء العين: إذا أعجبك حسنه وبهجته.
وحكى: ملأه على الأمر يملؤه و مالأه.
وكذلك الملأ: إنما هم القوم ذوو الشأن والتجمع للإدارة. والملأ على هذا صفة غالبة.
وقد مالأته على الأمر ممالأة: ساعدته عليه وشايعته ، وتمالأنا: اجتمعنا ، والملأ في كلام العرب: الخُلُق.
والملأ: العِلْيَة. وما كان هذا الأمر عن ملأً منا: أي عن تشاور واجتماع (14).

10- وقال أبو حيّان الغِرناطي الجيّاني النحوي المفسر (ت 754هـ):

الملأ: الأشراف من الناس ، وهو اسم جمع ، ويُجمع على أملاء.
قال الشاعر:
وقال لها الأملاءُ من كل معشر وخير أقاويل الرجال سديدها
وسموا بذلك؛ لأنهم يملؤون العيون هيبة، أو المكان إذا حـضـروا، أو لأنهم مـلـيـؤون بما يُحتاج إليه.
وقال الفرّاء: الملأ من الرجال في كل القرآن لا تـكـون فـيهم امـرأة ، وكذلك الـقـوم والنفر والرهط.
وقال الزجاج: هم الوجوه وذوو الرأي (15).

11- وقال الفيروز آبادي (ت 817هـ):

الملأ: التشاور. والأشراف والعلية والجماعة والطمع والظن. والقوم ذوو الشارة والتجمع والخُلُق(16).

12 - وقال العلاَّمة الآلوسي (ت 1270هـ):
الملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم ، وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه ، وأصل الباب: الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد.
وإنما سمي الأشراف بذلك ؛ لأن هيبتهم تملأ الصدور ، أو لأنهم يتمالؤون: أي يتعاونون بما لا مزيد عليه (17).
13 - ومن الكُتاب المعاصرين:
وممن عرض لمعنى الملأ وموقفهم من الدعوات عدد من الكُتاب المعاصرين ، نذكر فيما يلي نماذج لما يمكن استخلاصه من آرائهم في ذلك. قال الشيخ محمد أحمد العدوي: عن الملأ:
الأشراف والسادة الذين امتلأت نفوسهم بحب الجاه والسمعة والرياسة والاستئثار ، وهم المترفون الذين قال الله - تعالى - فيهم:((»وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ«)) [سبأ:34] (18) ، وهم الذين تحدث عنهم الكاتب والمؤرخ محمد عزة دروزة - رحمه الله - في بحثه عن معركة النبوة مع الزعامة في مكة والذين سماهم بجمهورية زعماء الأسر العريقة ، حيث كان يتولى هؤلاء الزعماء شؤون مكة العامة على اختلافها في نطاق ما يسمى بدار الندوة ، فوصفهم بأنهم: الزعماء والأغنياء في مكة - بصورة عامة - يتمتعون بالنفوذ والسيادة، يأمرون فيُطاعون، ويُدعون فيُستجابون، ويسنّون فيُـتـبـعـون، وتكـون لهم الكلمة الفاصلة في المشاكل والقضايا العامة الداخـلـية والخارجية والدينية والسياسية والاجتماعية (19).
وقال الشيخ محمد سرور زين العابدين في كتابه "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله" (20):
الملأ: هم بطانة الحكام الظالمين وأعوانهم ، وأصحاب المصالح والأغنياء المترفون ، وزعماء المناطق والقبائـل .. ومن سـنن الله الـثـابـتـة في خلقه أن يكون هؤلاء جميعاً في طليعة مَن يتصدى لأنبياء الله ؛ لأن نفوسهم امتلأت بحب المال والجاه ، وقلوبهم قد أُشربت كُره كل من يدعو إلى دين الله.. وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ((وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ))[سبأ:34].
والخلاصة:

أننا نريد من "الملأ" الذين ورد ذكرهم في كتاب الله - تعالى - لبيان موقفهم من الدعوة إلى الله - تعالى -: أولئك العلية من القوم ، وجوههم وأشرافهم ، ساداتهم وزعمائهم المستكبرين في الأرض بغير الحق ، يريدون عُلوًا في الأرض وفسادًا ، يجتمعون على رأي واحد ، هو الصد عن دين الله - تعالى - والتصدي للأنبياء والرسل ، وحرب الدعاة إلى الله - تعالى - فيتمالأون على ذلك ويجتمعون ويتعاونون مع بطانة سوء لهم.
إمتلأت نفوسهم بما يحتاجون إليه ، إلى درجة لا مزيد عليها ، فقد أُبْشِمُوا (21) بالمال والترف ، والجاه والشرف ، والزعامة والسيادة والمكانة بين قومهم ، فأصبحوا يملؤون العيون رواءً ومنظرًا ، والنفوس بهاءً وجلالاً ، ونادي القوم أو المجلس - إذا حضروه وتصدروه - هيبةً ومكانة ، ويعظمون في عيون من يرونهم ، إليهم ترجع العامة في القول والرأي ، وعليهم تعقد الخناصر ، وتشير الأصابع إليهم ، فأصبحت كلمتهم كلمة الفصل المسموعة ، ورأيهم رأيًا سديدًا مطاعاً ، وإشارتهم أمراً نافذاً. يقولون فلا معقب على قولهم ، ويتكلمون فتلجم أفواه غيرهم وتنعقد الألسنة. يرون الرأي فليس لأحد وراء رأيهم رأي في قضيةٍ ما صغيرةٍ أو كبيرة ، داخلية أو خارجية.
يظلمون غيرهم فيكون ظلمهم عدلاً ، ويتسلطون على أرواح الناس وعقولهم وأجسادهم وأموالهم ، فيكون هذا كله حقاً لهم ، وديناً في أعناق غيرهم ، تحقيقاً لمصالحهم الشخصية ودوافعهم الذاتية وأهوائهم الجامحة ومطامعهم الكثيرة.. أولئك هم الملأ من كل قوم ، الذين ينبغي أن نتعرف على سمات شخصياتهم ومعالمها وعلى أساليبهم في الصد عن الدعوة ومحاربتها ، والدوافع التي تدفعهم لذلك ، ثم نتبين موقف القرآن الكريم وموقف الرسل - عامةً - منهم ؛ لنكون على بينة من الأمر في موقفنا منهم.

والله الموفق.

الهوامش:

1 - مجاز القرآن ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى: 1/77 ، 280 ، تحقيق د.محمد فؤاد سزكين ، والحديث ذكره ابن هشام في

السيرة: 2/77 من الروض الأُنُف ، بلفظ: "أي ابن أخي أولئك الملأ" ، قال ابن هشام: يعنى الأشراف والرؤساء ، وعنه نقله ابن كثير في البداية والنهاية: 3/305 ، وليس فيه قوله: "احتضرت أفعالهم..." الخ.
2 - تهذيب اللغة للأزهري: 15/ 404-406.
3 - أخرجه مسلم في كتابه المساجد: 1/472-474 ، وأبو داود وأحمد في المسند: 5/298،302،307.
4 - أخرجه مالك في الموطأ ، المنتقى للباجي: 7/115 ، وأخرجه الشافعي والبيهقي والدارقطني ، انظر بالتفصيل: إرواء الغليل للشيخ ناصر الدين الألباني: 7/259،261.
5- أخرجه البخاري في الجزية ، فتح الباري: 6/382-383 ، ومسلم في الجهاد: 3/229 ، وأحمد في المسند: 1/393 7، 417.
6- غريب الحديث للخطابي: 1/668.
7- المصدر السابق: 3/229.
8- المصدر السابق: 2/151.
9- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس: 5/346.
10- مفردات القرآن ، للراغب الأصفهاني: 473.
11 - تفسير البغوي بهامش الخازن: 1/213.
12- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: 4/351 ، وفيه عرض للمعاني التي سبقت عن الملأ مع شواهدها من الحديث والشعر ، تركناها لأنها سلفت فيما نقلناه عمن سبقه (رحمهم الله).
13- الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي: 3/243،7/234.
14 - لسان العرب لابن منظور: 1/ 153 - 155 ، طبع الدار المصرية للتأليف.
15 - البحر المحيط ، لأبي حيان: 2/248.
16 - ترتيب القاموس المحيط ، للأستاذ الطاهر أحمد الزاوى: 4/474.
17 - روح المعاني للآلوسي: 2/164.

18 - دعوة الرسل إلى الله تعالى ، لمحمد أحمد العدوي ، ص،1 2.
19 - معركة النبوة مع الزعامة ، للأستاذ محمد عزة دروزة ، في المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية في الدوحة بقطر عام 1400 هـ ، مجموعة البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر: 6/407 ، وما بعدها.
20 - منهج الأنبياء ، ص59-60 ، دار الأرقم بالكويت.
21 - بَشِمَ من الطعام بَشَماً: أكثر منه حتى اتَّخَمَ وسئمه ، فهو بشيم. المعجم الوسيط: 1/59.

رحلة طويلة

لم يخفَ على رموز الجاهلية ما انطوت عليه الدعوة الجديدة التي قام بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؛ لذا فقد جندت كل قواها لصد هذه الدعوة واتخذت كل الطرق للنيل منها ومن صاحبها.
وأصبح الانضمام إلى معسكر الإيمان جد الجد ، لا يتقدم إليه إلا مَن هانت عليه نفسه في سبيل هذه الدعوة. وأقبل فتية من قريش لا يستخفهم طيش الشباب و لا تستهويهم الجِدة ، أقبلوا على هذا الدين ، وآمنوا برب واحد ، وكفروا بغيره وارتضوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معلماً وهادياً . ونالوا من الأذى ما تعجز عنه الأبدان ، وصبروا على ما أصابهم وكيف لا يصبرون وقدوتهم -صلى الله عليه وسلم- يدلق على ظهره سلا الجَزور ، ويسمع من طواغيت قريش أفحش الكلام.
وهو - في أثناء ذلك - يربي أصحابه التربية الإيمانية التي تؤسس العقيدة على أرض صلبة لا تجرفها السيول ، ولا تحتملها الرياح والأنواء . كان - عليه الصلاة والسلام - يربى فيهم الحماسة لهذه العقيدة ، والتضحية لهذا الدين ، ولما أكثروا عليه قال :"قد كان فيمن قبلكم يؤتى بالرجل فيوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما يرده ذلك عن دينه" .. أو كما قال .

لقد رضعوا حب الحرب والقتال وكأنهم وُلدوا مع السيف ، ولعبوا مع الرماح ، وكان من أيامهم داحس والغبراء والبسوس ، وما يوم الفجار منهم ببعيد. فكيف يصبرون على الأذى والظلم وهم على الحق ؟! . وكلما شكوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لهم : كفوا أيديكم ، وأقيموا الصلاة ، ولم نؤمر بقتال ، كان ينمي فيهم روح التلقي من الله - عز وجل - وحده ، فلا قتال ؛ لأن الله لم يأمرنا بالقتال ولكن أمرنا بالصلاة التي هي تربية روحية تعمق العلاقة بين العبد وخالقه.
حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم ، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم ولم يبق في قلوبهم إلا الامتثال التام لأوامر الله - عز وجل - أمرهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة إلى المدينة ، واستكمل بناء التربية الإيمانية ، وتمثلت الأخوة على أساس العقيدة في أروع صورها بين المهاجرين والأنصار ، وأصبح للمسلمين دولة ، وللإسلام صولة واستطاع هؤلاء الفتية - الذين رباهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على عينه - أن يدمروا في غضون 30 سنة طواغيت الكفر ، لا في مكة أو الجزيرة العربية فحسب وإنما في كل بقعة وصلتها أقدامهم وهم يرددون القولة الخالدة : جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.
إنها حقًا رحلة طويلة تلك التي خاضها فتية مكة من الجاهلية إلى الإسلام ، طويلة كبعد الجاهلية عن الإسلام.

إبراهيم الهزاع - مانشستر

الأخ الكريم مدير تحرير مجلة "البيان"

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:
كـم ســررت عـنـدما اطلعت على العدد الأول من هذه المجلة الغراء.. وكم طربت لمقدمتها التي تبين فيها منهاجها ، وخاتمتها التي تطالب فيها جميع المسلمين - بلا تفريق بينهم - بالمشاركة في المجـلـة ، وتفتح أبوابها للجميع ، وهي نغمة جديدة لم نتعود

سماعها ، ولذلك فكلنا أمل أن تسـتـمـر هذه المجلة على هذا الطريق ، وأن تلقى من المسلمين المحل الذي تستحقه..
كان خير مقالات المجلة - في نظري - الرسالة المفتوحة إلى المجاهدين الأفغان ، وآمل أن تكثر هذه النوعية من المقالات..
هنالك ملاحظات لابد منها - وإن كان ذلك لا يقلل من قيمة المجلة - خاصة وأن المجلة في بدايتها الأولى، فالأولى والأحرى أن نشدد عليها الآن ؛ كي يستقيم عودها وتشق طريقها على أحسن وجه :
1- المجلة - فيما يظهر - مترددة بين أن تكون مجلة مقالية، يطالع فيها القارئ وجهات نــظــر شـخـصـيـة لـكاتبيها، أو أبحاثاً متخصصة تتميز بالطابع العلمي، ولا تمس الواقع المعاصر - أعني الأحداث السياسية الجارية - هـذه وجـهـــة.. والأخرى أن تكون مجلة خـفـيـفـة تـعـالـج مـشـاكل المسلمين دون أن تتوجه نحو البحث العميق ، وتنشر الأبحاث القصيرة.. من مثل: الرسـالـــة المفتوحة أو موضوع المجاعة.. والذي أراه أن كلا الجانبين مهم ، لكن لكل النوعين قراؤه الراغبون فيه ، والذي أخشاه أن يعرض عنها الأكاديميون العلميون ؛ لأنها صحيفة المــقـالة الخفيفة ، وأن يعرض عنها كذلك عامة الناس ؛ لأنها جافة تتحدث بمنطق علمي لا صلة له بالواقع.
2 - ذكر أن المجلة تصدر كل شهرين مؤقتاً ، والذي نرجوه أن تصدر كل أسبوع في أقرب فرصة - بإذن الله - فإن حاجة الساحة الإسلامية لمثل هذا العمل شديدة جداً.
3 - إخراج المجلة لم يعطَ من العناية ما يستحق.. فإن في الساحة مجلات سـيـاسـية لها طابعها في الإخراج ، وفيها أيضاً مجلات علمية لها أيضاً طابعها المميز.. والمجلة لم تسلك هذا الطريق أو ذاك بل ظهرت أشبه بكتاب دوري !!
4 - من مظاهر عدم العناية بالإخراج نوعية الحرف المستخدم في الطباعة..
فقد استخدم حرف كبير ، بحيث يستهلك المقال القصير العديد من الصفحات .. وذلك - فـي نـظــري - عيب لا شك فيه ، فالذي أراه أن يعاد النظر تماماً في الإخراج وأن تخرج بطريقة تــشـبـه - مثلاً - الكثير من المجلات الثقافية المشهورة (العربي أو غيرها) ،

كما أرى أن يــزداد مـن عــدد صـفـحات المجلة وأبوابها ، ويزداد من تنوع المواضيع وطريقة صياغتها.. مع استخدام العناوين الجانبية، والتنسيق بالكلمات ذات البنط العريض.. الخ، ويستعان في ذلك بالأشكال والـزخــارف الـتـي تـزيــد من وضوح الفكرة ، وتزيل السأم عن القارئ ، مع عدم مخالفتها للشرع حسب اجتهادكم.

5 - عنوان المقال في كثير من الأحوال يدفع الناس لقراءته أو لعدم قراءته..

ولقد كانت عناوين مقالات العدد الأول ذات طــابــع تقـلـيـدي غير مشوق ، وأرجو أن لا يغضبكم هذا ، فإنما هي النصيحة ، فعناوين مثل: الإرجاء ، مفهوم الحرية ، والبلاغة والبيان... الخ ، ليس لها وقع في النفوس، مثل وقع: قضايا معاصرة، مع القراء، المنـتـدى الأدبي ، لكل مشكلة حل .. الخ.. ثم وضع هذه العناوين على شكل (فـهـرس) في صـفـحة كاملة في مدخل المجلة ، كل ذلك من الأشياء التي لا تعطي انطباعاً بالتشويق والتجديد..

وختاماً - إخوتي الأحبة! - ليست هذه الكلمات تثبيطاً لكم، ولا هي استهانة بجهودكم، ولا استخفافاً بقيمة عملكم.. كلا.. كلا، لكنها كلمات المحب المخلص الغيور، الذي يطمع أن يرتقي بالجهود إلى القمة المنشودة .

ومَن يتهيب صعود الجبال يَعِشْ أبد الدهر بين الحُفَر !

أخوكم عبد العزيز الخليفة

البيان :

جزى الله الأخ عبد العزيز الخليفة كل خير على ما جاء في رسالته الكريمة ، ونؤكد للأخ بأن المجلة ليست مـتـرددة بـيـن نـوعين من المقالات ، وقد درست هذه الأمور بعناية قبل إصــــدار المجلة ، والحرف الذي استُخدم في الكتابة ليس كبيراً كما وصفه الأخ.. وبقية نصائـحــك ومــلاحـظـاتك سوف تكون موضع اهتمامنا ، ونحن لا نستغني عن مشاركتك ومــشــــاركة كل مخلص قادر على الكتابة ، والمجلة مجلتك - يا أخى ! - لأن أهدافنا واحدة والحمد لله .

شكوى ونجوى

صالح بن علي بن الكناني

هذا زمـان سـفـاهـة الأحـلام وسـيادة الغلمان والأقـزام
هذا زمان الذل دِيست عـنده حـريـة الأحرار بالأقـدام
مـا عاد فـينا نـخـوة عربـيـة ما عـاد فينا عزة الإسـلام
كـم راكـع كـم سـاجد مـتـألّه لـحـثالة البلدان والأقـوام
عـلـمـاؤنا في غفلة عن أمـرنـا شغلوا بأوهام تُرى وحطام
باسم السلام يسـوقـنا جـزَّارنا باسم السلام نسام كالأنعام
حذفوا "البراء" وكل لفظ مثله مـا عـاد ثَمَّ عبادة الأصنام
يا رب قد ضاقت علينا أرضنا وسماؤنـا من شـدة الإظلام
فأذنْ بغارتك التى تمحو بهـا عن جبهة الإسلام كل قتام
وتعـيـد للإسـلام عـزتـه الـتي طُـمـسـت معالمها مع الأيام

عندما تصبح الأعياد مآتم ...!

سنـتـعـرض في هـذه الـدراسـة لـبـعـض ما يحدث في أعياد الغرب المسيحي من غـرائـب، وللأصول الوثنية التي تستند إليها هذه الأعياد ، وليكن مجال بحثنا ما يسمى بعيد ميلاد المسيح (عليه السلام) (1) ، وعيد رأس السنة الميلادية كأكبر مناسبة في الغرب النصراني .

فالاحتفالات بهذا العيد تقـام فـي يـوم ولـيـلـة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) في المجتمعات النصرانية الغربية، وبـعـد ذلـك بحـوالـي أسـبـوعـيـن عند النصارى الشرقيين .. حيث تغلق جميع الدوائر الرسمية وغير الرسمية أبوابها ، وكذلك المستشفيات والمحلات التجارية وتتوقف كثير من وسائل المواصلات كالحافلات والقطارات عـن العمل. وفي العموم فإن حركة الحياة تتوقف في ذلك اليوم كما لو كان الناس قد نزلوا إلى ملاجئهم إثر غارة جوية معادية !

لكن لعل المقيم في تلك البلاد أو الزائر في ذلك اليوم والليلة يرى أن نوعين من المحلات لا تغلق أبوابها ، بل يزدهر سوقها ويكثر روادها،وهما:حانات الخمور والبارات التي يشرب فيها الخمر

والمسكرات ؛ حـيـث يفـرط الناس بشربها إلى حد فقدان العقل وفقدان السيطرة على السلوك مما حدا بالشرطة البريطانية إلى إصدار قرار بتخفيض النسبة المسموح بها من الشراب لمن يقود السيارة إلى خمسين بالمائة (2) وذلك قبيل عيد الميلاد السابق .
ومن عجائب المفارقات أن أحد رجال الشرطة المكلفين بحفظ الأمن في تلك الليلة قاد سيارته وهو في حالة سُكر، بعد أن خرج من حفلة شراب للشرطة بمناسبة عيد الميلاد ! ؛ مما تسبب في اصطدامه بسيارة أخرى، وذلك بعد ساعات من إصدار قرار التخفيض السابق !! ؛ مما جعل مدير الـشــرطة يصدر أمراً لجميع أفراد الشرطة يحرم فيه عليهم الشرب قبل قيادة السيارة ! (صحيفة "ستار" The Star 27/12/86 وصحيفة "صن" The Sun 27/12/86م) .
ورغم تفاؤل الشرطة البريطانية بقانون التخفيض الجديد والذي قد يكون قلل من عدد الوفيات نتيجة حوادث السير في عيد الميلاد السابق مقارنة بأعياد الأعوام السابقة .. إلا أنه من لم يمت بالسيف مات بغيره . ، فمن الحوادث الطريفة في ليلة العيد السابق أن شاباً سقط من ارتفاع أربعين قدماً على شابة تبلغ العشرين من العمر ؛ مما أدى إلى إصابتها بالشلل المزمن . . الشاب المخمور قال لأصدقائه : لقد كنت في غيبوبة تامة ولا أستطيع أن أتذكر كيف سقطتُّ كل هذه المسافة !! (صحيفة "صن" The Sun 27/12/86) .
وإذا كان المعنى اللغوي للعيد أنه الذي يعود بالفرح والمرح والسرور فإن العقلية البناءة (!!) للحضارة المعاصرة أبت إلا أن تجعل منه شيئاً آخر . . ونحن وإن كان بين أيدينا عدد من حالات الخطف والقتل والاغتصاب التى حدثت في ليلة العيد السعيد ! إلا أننا لسنا بحاجة إلى سردها - وليس هذا موضعها - ويكفي القارئ العزيز أن يعلم أن الخمر أم الخبائث . . وأن يعرف أنه كما أغلقت الدوائر والمحال التجارية أبوابها في ذلك اليوم والليلة فإن من تربوا منذ نعومة أظفارهم على أفلام العنف والجريمة وأفلام المجون والخلاعة قد استنفروا طاقاتهم القصوى في سبيل تحقيق تلك الشهوات وإشباع تلك الغرائز .. ولك أن تتصور أي سعادة

وسرور يعيشها طفلان لم يتجاوزا الخامسة من عمرهما ، وأى معانٍ من معاني ميلاد المسيح تبقى في ذهنيهما بعد أن شاهدا وحشاً كاسراً يهجم - تلك الليلة -على أمهما وجدتهما ويحيلهما إلى جثتين هامدتين تسبحان في بركة من الدماء ؟! ويولي هارباً .. بقي أن تعرف - أخي القارئ - أن هذا الوحش هو "والدهما الحنون" ! (صحيفة "صن" 27/12/86) .

وإذا كان كثير من الناس في ليلة عيد الميلاد ويومه يمكثون في بيوتهم أو في خماراتهم يعربدون .. إلا أنهم وفي ليلة رأس السنة الجديدة يخرجون إلي الاحتفالات بسكرهم وعربدتهم ، فقد أعلنت الشرطة البريطانية أنه قد تم إلقاء القبض على ما يزيد على (150) شخصاً في منطقة ميدان "الطرف الأغرّ" بوسط لندن والتي تتركز فيها عادة الاحتفالات بحلول العام الجديد . . وكانت معظم الحوادث التي وقعت قد جاءت نتيجة للسكر والإخلال بالنظام العام والتعدي على الناس .. وقد عالجت سيارات الإسعاف (195) شخصاً من بين المحتفلين بالمناسبة بسبب إصابتهم بجروح نتيجة تهشم زجاجات الشراب ! وقد نُقل نحو خمسين آخرين إلى المستشفيات للعلاج ، وقد قُدر عدد رجال الشرطة الذين أصيبوا في هذه الحوادث بنحو أربعين رجلاً (جريدة "الشرق الأوسط" ، 29/12/86) .

وها هنا نوع آخر مما ابتُلي به أهل هذه الحضارة :

ففي روما أعلنت وزارة الداخلية الإيطالية عن الحصيلة النهائية لضحايا استخدام المفرقعات والألعاب النارية الملونة في احتفالات رأس السنة الجديدة ، وقالت مصادر الوزارة: إن مواطناً كهلاً قُتل في مدينة نوشيرا في الجنوب الإيطالي بفعل دخان مفرقعة ، وجرح (600) شخص آخرون في روما ونابولي وغيرهما من المدن الإيطالية ، ومعظم المصابين يعانون من حروق في اليدين والوجه بسبب انفجار المفرقعات بأيديهم ، أو بسبب عدم احترام الشروط القانونية أثناء تصنيع هذه المفرقعات.. وتعتقد أوساط الداخلية أن عدد الجرحى أكبر من الرقم المعلن ؛ لأن العديد ممن أصيبوا بجروح لم يلجأوا إلى المستشفيات العامة وفضَّلوا الصمت.

وكانت صحيفة "كورييري ديلاسيرا" الإيطالية قد ذكرت أن ثلاثة أشخاص قتلوا وأصيب أكثر من (500) في هذه الاحتفالات (الشرق الأوسط 3/1/86) .

ومصائب أعياد رأس السنة الميلادية لا تقتصر على أوربا وأمريكا بل تنسحب على كل الذين يحيون تلك الاحتفالات.. ففي مانيلا (عاصمة الفلبين) لقي اثنان وعشرون شخصاً حتفهم وأصيب المئات من جراء الألعاب النارية وإطلاق النار في أجواء العاصمة ، وذكرت مصادر الشرطة الفلبينية أنه رغم الحظر الحكومي على استخدام الألعاب والقذائف النارية إلا أن هؤلاء لم يبالوا به ، وأن المستشفيات تستقبل مئات المصابين من جراء هذه الألعاب والطلقات الطائشة ، ومن بين الضحايا خمسة من أعضاء أسرة واحدة كانوا نائمين داخل منزلهم الخشبي الذي احترق من جراء الألعاب النارية (الشرق الأوسط 3/1/86).

تكاليف عيد الميلاد من منظور آخر :

اطلعنا حتى الآن على شيء من التكاليف البشرية والصحية والاجتماعية والأخلاقية لأعياد الميلاد في بلدان الحضارة المعاصرة .. فلننظر إليها الآن من زاوية أخرى.. زاوية التكاليف المادية..

فكما أسلفنا القول إن المجتمعات ا لغربية تتناول من الخمور في تلك الأيام ما لا تتناوله في غيرها... فمصانع الخمور والمشروبات الكحولية تعمل بطاقاتها القصوى قبل حلول العيد.. ومحلات بيعها تظل مشرعة أبوابها حتى ساعات الصباح المتأخرة.. ويقتنيها الناس على هيئة خزانات صغيرة في البيوت انتظاراً لتلك الليلة حيث يجتمع فيها الأقارب المقربون ذلك الاجتماع اليتيم !! وكأن هذه العربدة المفرطة هي الاحتفال اللائق بذكرى ميلاد المسيح (عليه السلام) !! .

إن كل هذه الحشود الكحولية تكلف ميزانية الفرد ومن ثم المجتمع الغربى ما لا يحصى من الأموال.. وهى في نفس الوقت تكلف ميزانية الدولة في المحافظة على الأمن ومواجهة حوادث السير والشغب ومعالجة المرضى والمصابين والبحث عن الجناة القاتلين أو عن الخاطفين والمخطوفين !! .

* ومن مظاهر البذخ في احتفالات أعياد الميلاد لدى المجتمعات المتحضرة ما أسلفنا ذكره من الألعاب النارية والمفرقعات وهى بلا شك تكلف الكثير .. الكثير .. ولها من الآثار - غير المادية - ما أسلفنا الحديث عنها.

* ومن تلك المظاهر أيضاً ما يسمى بشجرة الميلاد وهى من الأشجار المخروطية دائمة الخضرة ، تزرع خصيصاً لهذا الغرض.. حيث يقتنيها أغلب الناس في الغرب ، ويضعونها في منازلهم أو متاجرهم ، ويزينونها بالأضواء الملونة والتماثيل واللعب الصغيرة.. كما يضعون تحتها الهدايا التي أهداها بعضهم لبعض.. ثم يفتحونها ليلة عيد الميلاد !! وقد بِيع منها في أمريكا في عيد الميلاد السابق حوالى (32) مليون شجرة (جريدة الأهرام 3/1/87) ولا يزيد هذا العدد بكثير عن مثيله في البلدان الأوربية.

* ومظهر آخر من مظاهر هذا الإنفاق ما يسمى ببطاقات عيد الميلاد.. حيث يرسل كل فرد عشرات البطاقات إلى أهله وأصدقائه أو زملائه في العمل يتمنى فيها لهم عيداً مرحاً بهيجاً وسنة جديدة سعيدة.. وهذه البطاقات تعتبر معيار ومحك الصداقة بين الناس.. فيكفي الابن العاق - وما أكثر العقوق في تلك المجتمعات ! - (3) الذي لم يَرَ والديه منذ سنوات وهو يعيش معهم إن لم يكن في نفس البلدة ففي نفس القطر - يكفيه أن يرسل بطاقة تهنئة لوالديه بهذه المناسبة كى يصبح ابناً باراً واصلاً لرحمه !!

وهكذا تنهال قبيل حلول العيد بأيام ملايين البطاقات على مصلحة البريد ، مما يحدوها إلى توجيه طاقاتها لتوزيع هذه البطاقات كى تصل قبل حلول العيد وتأجيل الرسائل العادية مهما تكن أهميتها..

* ومن المظاهر التي يشاهدها رجل الشارع في احتفالات أعياد الميلاد الأنوار والأقواس التي تتزين بها واجهات المحلات والشوارع الرئيسية العامة والتي ينفق عليها الكثير من الأموال التي لو وُجهت لمصلحة الفقراء الذين يعيشون تحت مستوى الفقر (راجع البيان عدد "2") أو للذين ينامون في العراء تحت درجة التجمد في الشتاء القارس فيفترشون ويلتحفون ما ترميه المحلات التجارية من أوراق ونفايات - لا أقول في إفريقية الجائعة

ولا في بعض المناطق الفقيرة من القارة الآسيوية - وإنما في أكثر عواصم العالم تمدناً وتقدماً، في لندن وباريس وواشنطن ونيو يورك وغيرها من كبريات المدن الأوربية والأمريكية.. إن هذه الأموال - التي تنفق في مثل هذه المظاهر التي أسلفنا ذكرها وغيرها الكثير - لو وُجهت في مثل هذه المصالح لحفظت حياة الكثيرين بل وأخلاقهم وشرفهم الذي كثيراً ما تجري المساومة عليه بسبب الفاقة والحاجة !! .. لكنها الرأسمالية الظالمة !!
هذا غيض من فيض مما تنفقه الدول والشعوب في عواصم الإسراف والفوضوية.. ولعل هذه الشعوب قد أسرفت في فهم قصيدة الشاعر الإنجليزي "توماس تاسِّرTusser " عام حيث يقول :
"خذ في عيد الميلاد بأسباب المرح والابتهاج ؛ فعيد الميلاد لا يجىء إلا مرة في العام" .
على أننا لم نتعرض بالذكر لما ينفق على الهدايا عشية الميلاد وغيرها مما ليس له آثار سلبية واضحة على المجتمع.. وهكذا تنتهي مواسم الأعياد والاحتفالات فيفتقد كل فرد رصيده فإذا هو قد أفلس أو كاد !! هذا إن كان ممن حالفهم الحظ فلم يقضِ أيام العيد على الأسرَّة البيضاء ، أو خلف أستار الحزن على ابن أو بنت اختطفت أو قريب أو صديق وقع ضحية للعنف أو لحوادث السير.. وإني لأجد التشابه جلياً واضحاً بين هذه الشعوب في أعيادها وبين قوم إبراهيم - عليه السلام - حين رجعوا من عيدهم فرحين مبتهجين فوجدوا آلهتهم قد حُطمت.. فأصيبوا بخيبة أمل وعادت عليهم أعيادهم وبالاً وخزياً.. إلا أن الفارق الوحيد هو أن ما حُطم هو الكفر والضلال بيد إمام الموحدين الخليل - عليه السلام - أما هؤلاء فقد حطموا أنفسهم وأموالهم بأنفسهم وصدق اللهِ العظيم إذ يقول في إخوانهم اليهود : ((يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي المُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ))[الحشر:2].
حقاً ، إنها لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. ألا فليعتبر أبناء المسلمين الذين يريدون أن ينحوا بأعيادنا هذا المنحى الخطير بحجة التطور والرقي !! .. وها قد تبين آثار البذخ والإسراف بكل أنواعه على الأفراد والمجتمعات فهل ترضي هذه

الآثار والنتائج رجلاً مخلصاً لأمته ومجتمعه ؟! وهل يرضى عاقل أن يرى هذا السموم تفتك بأهله وقومه ؟!.. ألا فلنلتزم حدود ما أبيح لنا في أعيادنا من لهو ولعب يسير فإن فيه الكفاية لما نتطلع إليه من مرح وفيه الملجأ مما نخشاه من آثار وعواقب وخيمة .

خرافة سانتا كلوز أو ما يسمى بابا نويل :

ويتمثل في رجل عجوز سمين مرح ذي لحية بيضاء طويلة وملابس حمراء زاهية .. يقولون إن أصله يرجع إلى القديس "نيكولاس" الذي عاش في أوربا في القرن الرابع الميلادي وكان يعطف على الأطفال ويوزع عليهم الهدايا.. وقد تحول الآن إلى أسطورة كبيرة يصدقها كثير من الأطفال (بل في استفتاء أجرته إحدى شبكات التلفاز الأمريكية في عيد الميلاد السابق - قال 90% من الكبار أيضاً إنهم يؤمنون بوجود سانتا كلوز) .

وتقول الأسطورة الحالية: "إن سانتا كلوز يعيش في القطب الشمالي مع زوجته وأعوانه يديرون مصنعاً كبيراً للُعب الأطفال ، وفي ليلة الميلاد يسافران معاً على زحافة ثلجية يجرها ثمانية غزلان ، وتمر الزحافة على سطح كل منزل لينزل منها سانتا كلوز من خلال المدخنة إلى غرفة الطعام ليضع الهدايا في جوارب خاصة يتركها للأطفال معلقة بجوار المدفأة.. وعادة ما يضع الأهل تلك الهدايا بدلاً من سانتا كلوز وقت نوم الأطفال ، فإذا ما استيقظوا تيقنوا أن سانتا كلوز حقيقة لامراء فيها" (الأهرام 3/1/1987م) .

هكذا يتربى أطفال الحضارة المعاصرة على الخرافة والكذب !! والأعجب من ذلك أن تظل هذه الخرافة في عقول مَن تجاوزوا سن الطفولة !! .

هل حقاً يحتفل النصارى بعيد ميلاد المسيح ؟!

يقول المؤرخون: إن المسيح - عليه السلام - لم يولد في هذا الموعد الذي يحتفل به اليوم في البلاد النصرانية.. حيث يؤكد آباء الكنيسة في القرنين الثاني والثالث الميلاديين أن ما يسمى بعيد ميلاد المسيح ما هو إلا صورة طبق الأصل لما كان يحتفل به الوثنيون في أوربا قبل ميلاد المسيح بوقت طويل (دائرة المعارف البريطانية ج16 ، ص364 Britannica Encyclopedia) .

وتقويم الأعياد المسيحية مأخوذ من (تقويم يوليوس الشمسي) وهو التقويم الذي أدخله يوليوس قيصر إلى روما عام 46 قبل الميلاد.. والذي جعل أيام السنة 365 يوماً (المرجع السابق) .. حيث كان الوثنيون يحتفلون (يوم 25 من ديسمبر) بما يسمونه "عيد ميلاد الشمس التي لا تقهر" أو ما يسمى "بيوم الانقلاب الشتوي الصيفي الروماني" (المرجع السابق) ، ولقد أقيم أول احتفال بعيد ميلاد المسيح - كما يزعمون - سنة 336 ميلادية في روما وذلك في اليوم السادس من شهر يناير.. ثم ثَبَّتت الكنائس الغربية في نهاية القرن الرابع الميلادي الاحتفال بميلاد المسيح في يوم (25 من ديسمبر) إلا أن الكنيسة في أرمينيا لم تعترف بهذا التغيير واستمر الاحتفال به في السادس من شهر يناير (دائرة المعارف البريطانية ج4 ص283) .. كما هو الحال الآن في معظم الدول الشرقية.. إلا أن المؤرخين يؤكدون أن المسيح - عليه السلام - لم يولد في أي من هذين الموعدين !! .

أصل شجرة الميلاد :

أول من استخدم الشجرة هم الفراعنة والصينيون والعبرانيون كرمز للحياة السرمدية ، ثم إن عبادتها قد شاعت بين الوثنيين الأوربيين وظلوا على احترامها وتقديسها حتى بعد دخولهم في المسيحية فأصبحوا يضعونها في البيوت ويزينونها كي تطرد الشيطان أثناء عيد الميلاد (دائرة المعارف البريطانية ، ج3 ، ص 284) .

ولم يطلق عليها شجرة الميلاد إلا في القرن السادس عشر الميلادي - في ألمانيا الغربية - حيث تحولت مما يسمى "بشجرة الجنة" في الاحتفال الديني بذكرى آدم وحواء في 24 من ديسمبر إلى شجرة الميلاد ، حيث أصبح الناس يعلقون عليها الشموع التي ترمز إلى المسيح - بزعمهم - ولم تدخل فكرة الشجرة إلى إنجلترا إلا في القرن التاسع عشر (المرجع السابق) .

هذه هي الجذور الوثنية لهذه الأعياد التي يحتفل بها النصارى اليوم ويعتبرونها أكبر مظاهر دينهم ، وينفقون فيها ملايين الدولارات .. وما مثلهم إلا كمثل من وصفهم القرآن بقوله: ((إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ))[الصافات:69-70] . على أنك

لو سألت كثيراً ممن يحتفلون بهذه المناسبة عن سبب احتفاله بها فإنه لن يعرف أكثر من كونه لا يذهب يومها إلى العمل ، ويشرب فيها الخمر بشراهة ، ويتناول ليلتها الديك الرومى !
وإنه لمما يؤسف له أن ينخدع بعض من أبناء المسلمين بمظاهر هذه الأعياد الزائفة ، فصاروا يحتفلون بها في بلدانهم الإسلامية ، ويتبادلون بطاقات التهاني أو يتبادلونها مع النصارى ويهنئونهم بهذه المناسبة.. وكأنهم يقرونهم على دينهم !! بل الأدهى من ذلك أنها أصبحت عطلة رسمية في كثير من بلدان المسلمين !
بل الأعجب من ذلك أن تبتدع بعض العواصم الإسلامية بدعة لم تسبق إليها ، وليس لهذه البدعة ما يقرها من شرع أو عقل أو قانون أو عرف ، ألا وهي خروج السفهاء في منتصف الليلة - التي سيتمخض عنها العام الميلادي الجديد - بأسلحتهم النارية وما إن تقترب الساعة من الثانية عشرة ليلاً حتى تنطلق عاصفة من إطلاق الرصاص الذي يقوم به موظفون رسميون من جنود وميليشيا ، على مسمع الدولة التي سلحتهم وبصرها ، وهكذا تستمر هذه المظاهر النارية التي ليس لها ما يبررها ، فكم من حوادث مؤسفة في هذه الليلة ، وكم رصاص يهدر ونفوس ترعب ، وحوامل تسقط ، بلا رادع يردع هؤلاء عن هذا الفعل الشائن الذي يتحدى - بلا حياء -مشاعر المجتمع وعقائده وآدابه العامة.
وعلى غرار هذا الاحتفال بعيد ميلاد المسيح - على زيفه كما بينا سابقاً - انتشرت بدعة عيد مولد الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- هذه البدعة التي يحتفل بها الصوفية وغيرهم في أغلب بلدان العالم الإسلامي حيث تقام الاحتفالات وتزين المساجد والزوايا وتتلى القصائد والأشعار في المدح والعشق ثم الرقص والغناء وما قد يصاحب ذلك من اختلاط الرجال بالنساء.. ثم تناول عشاء المولد الذي يقدم فيه الدجاج والديك الرومي !! تماماً كعشاء ميلاد المسيح - عند النصارى - وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول:"لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا: يا رسول الله

اليهود والنصارى ؟! قال: فمن ؟!" أي: فمَن غيرهم ؟ (متفق عليه).
وليس المقام هنا مقام الرد على أهل هذه البدعة ، وإنما يكفينا هنا أن نعلم أن هذه البدعة لم تظهر إلا في القرون المتأخرة.. فلم يحتفل بها جيل الصحابة ولا القرون المفضلة بعدهم ولسنا بأكثر حباً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - منهم ولا شك . ولو كان هؤلاء يحبون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما يزعمون لوقفوا عند قوله عن أعياد الجاهلية :"قد أبدلكم الله - تعالى - بهما خيراً منهما يوم الفطر والأضحى" رواه النسائي وابن حبان بإسناد صحيح) لم يقل عيد مولدي .. ولا عيد الاستقلال.. ولا عيد العمال.. ولا عيد الثورة.. ولا عيد الشجرة .. ولا.. ولا.. الخ.
إنها دعوة لأبناء المسلمين أن يرفضوا كل ما هو دخيل على دينهم وعقيدتهم الصحيحة.. وأن يعلموا أن للبدع شؤماً تنعكس آثاره على الأفراد والمجتمعات كما هو واقع في مجتمعات الحضارة المعاصرة.. والسعيد مَن اتعظ بغيره .

الهوامش :

1- تحفظ على هذه التسمية سنشير إليه فيما بعد .
2- راجع "البيان" ، عدد "2" ؛ للاطلاع على إحصائيات بهذا الخصوص .
3- العقوق المذكور هنا لا يعني إعراض الابن عن خدمة والديه - فهذا من معطيات الحياة الاجتماعية في الغرب - بل المقصود ترك زيارتهما أو مكاتبتهما ولو مرة كل سنة ..

عندما يبيع الآباء أبناءهم !!

مـنـذ مـا يزيد عن أحد عشر عاماً ولبنان يعاني من ويلات الحرب والدمار بل أصبح لبنان حقلاً خصباً تُجرى فيه التجارب على ما تنتجه مصانع الغرب والشرق من أسلحة جديدة فتاكة ، ويستفيد هؤلاء وهؤلاء فائدتين:
الأولى: تجربة سلاحهم الجديد.

والثانية: الربح المادي مــن بيع هذه الأسلحة ، ويجني لبنان خراب البيوت ، وإزهاق الأنفس ونساء رملت وأطفالاً يـتـامى وجوعاً وغلاءً ومرضاً ، فبعد أن كان الدولار في بداية الحرب عام 1975 يعادل 35 ر 2 لـيـرة ، أصـبـح في نهاية عام 1986 يعادل (70) ليرة، وارتـفـع مـعـدل الـتـضـخم إلى 100% ، ففي هذه الظروف المعيشية الصعبة انتشر بيع الدم للمستشفيات ، وهذا يدل على كثرة الجرحى من جهة ، ومن جهة أخرى يدل على ضيق العيش الذي دفع المـحـتـاجـيـن إلى أن يبيعوا دماءهم ويعيشوا على ثمنها ، بل ذهب الأمر أبعد من ذلك حيث نقلت إلينا الصحافة خبراً مفاده أن لبنانياً من قرية عربصاليم بجنوب لبنان عرض أبناءه الثمانية للبيع وقال إنه يريد عناية لأولاده أفضل مما يقدمه لهم ! ، وأضاف: لو أردنا أن نطعم الأولاد أكلة "مجدَّرة" فإنها تكلف 200 ليرة ، وتتراوح أعمار الثمانية - وهم 7 بنات وصبى - بين 4 أشهر و 14 سنة وهذا ثاني لبنانى يعرض أولاده للبيع خلال أسبوع ! (جريدة القبس 25/11/1986).

أي لوعة وأي حسرة وأي ندامة ستحل بهذا الأب حين يفارقه أبناءه الثمانية ! ، لا شك أنه فكر في ذلك كثيراً ، فعاطفة الأبوة التي جعلها الله - حتى في الحيوان - موجودة عنده، لكن ما يعانيه من ويلات الحرب ونتائجها طغت على عاطفة الأبوة ولثمانية أبناء، فيعيش هو بثمنهم ويذهبوا هم إلى مكان أفضل كما يتصور هو ! .

قد نقول في هذه الحادثة هذا رجل ، وقد تغلب على عاطفة الأبوة برجولته ، أما أن يحدث ذلك من الأم فهذا مما يزيد الأمر هلعاً ، فقد ذكرت "جريدة الشرق الأوسط" - بتاريخ 17/1/1987 - : أن قوات الأمن اللبنانية ألقت القبض على امرأة بتهمة بيع أطفالها الأربعة لعدد من الأجانب ، واعترفت المتهمة بأنها حملت أربع مرات وباعت أولادها تباعاً للأجانب وكانت آخر مرة عندما باعت طفلتها لموظفة في السفارة البريطانية في بيروت مقابل ألفي جنيه إسترليني ! .

بقي أن نعرف أن أكثر مَن تدور عليهم رحى الحرب في لبنان هم من المسلمين السنة دون غيرهم سواء كانوا فلسطينيين في المخيمات ، أو من سكان لبنان الأصليين.

خواطر في الدعوة

قرار صائب ثم يأتي النصر

محمد العبدة

لا نكون مغالين أو مجرحين إذا قلنا إن المسلمين في الأعصر الأخيرة يفتقدون القرار الصائب والحاسم في اللحظات الحرجة أو اللحـظـات التاريخية . القرار الذي يُتخذ دون تردد أو خـوف من الـنـقـد ولـوم الشـبـاب أو الـشـيـوخ، ودون إرضاء لطرف على آخر. وهو القرار المناسب ولـيـس القـرار التلفـيـقي الذي يظن أنه يرضي الجميع وهو فـي الحقيقة لا يرضي أحدًا، وقبل هذا كله لا بد أن يحسب حساب الشورى وتقليب وجـهـات النظر، وملاحظة واقـــع المسلمين والمـصلحة الشرعية وما يراه العلماء في القديم والحديث، عـنـد ذلك يـأتـي الـفــرج بـعـد الشـدة ، ويفرح المؤمنون بنصر الله ، وفي القرآن والسنة وواقع المسلمين أمثلة لذلك:

1- جاء في سورة البقرة أن بني إسرائيل - وفي يقظة من يقظات الإيمان - قالوا لنبي ((لهم »ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ«))[246] وأراد هذا النبي التأكد من صدق عزيمتهم ربما لأنــه يـعـلـم مـــا هم عليه من الخور والتردد: ((»قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إن كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا«))[246] ؛ فأظهروا تصميمهم على القتال ، فاستجاب الله لنبيه وبعث لهم طالوت ملكاً يقودهم لـقـتــال أعدائهم ، وقد ذكر لنا القرآن عن هذا القائد الحكيم أنه لم يستخفه حماس هذا الـشـعـب ، فراح يختبرهم المرة تلو المرة ، ولم يصمد معه أخيراً إلا فئة قليلة. واتخذ القرار الصعب وقاتل بهذه الفئة وجاء النصر : ((»وقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وآتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ والْحِكْمَةَ«))[251].

2- بعد تكالب الأحزاب على المسلمين في غزوة الخندق رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن يخـفـف عن المسلمين هذا الضيق رحمة ورأفة بهم ، فاستدعى زعماء البدو من غطفان وغيرها وطلب منهم الرجوع عن المدينة وترك حصارها ويعطيهم

ثلث ثمارها ، وقبل تنفيذ هذا الرأي استشار السعدين: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، قالا: يا رسول الله!، أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ ، قال: بل شيء أصنعه لكم ؛ لأن العرب رمتكم عن قوس واحدة ، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله ! ، قد كنا وهؤلاء على الشرك وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرًى أو بيعاً ، أحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟! ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أنت وذاك. وكان وفد غطفان يسمع هذا الكلام فتزلزلت أركانه ، ورجعوا إلى معسكرهم ثم جاء النصر ريحاً وجنوداً لم يروها وانهزم الأحزاب خائبين.

3- كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أعد جيشًا بقيادة أسامة بن زيد ووجهته شمالي الجزيرة والروم ، ولكن الجيش لم يمضِ بعد سماع أنباء مرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واستخلف أبو بكر - رضي الله عنه - ، ورأى الصحابة إرجاع جيش أسامة بعد أن ارتدت العرب ، ولكن أبا بكر قال كلمته الحاسمة الجازمة: "لا أحل عقدة عقدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأنفذ جيش أسامة. فقالت العرب: لو لم يكن بهم قوة وطاقة لقتال الروم لما أرسلوا لهم هذا الجيش وأصابهم الوهن والرعب بسبب ذلك ، وجاء النصر من عند الله على يد قامع المرتدين خالد بن الوليد - رضي الله عنه.

4- عندما بلغت المدن الأندلسية في منتصف القرن الخامس الهجري - الغاية من الضعف والتفرق ، واستعان بعض ملوكهم بالنصارى على بعض ، اجتمع علماء أشبيلية وقرروا أنه لابد من الاستعانة بالمسلمين في المغرب، وبخاصة المرابطون وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين وعلم ملك أشبيلية المعتمد بن عباد بذلك فوافق على هذا الرأي ، ولكن بعض الناس حذروه مخوفين له من أن ابن تاشفين إذا جاء لمساعدته فسيأخذ الأندلس أيضاً ، ولكن ابن عـبـاد اتخذ القرار الصعب وقال قولته المشهورة: "لأن أكون راعي إبل خير لي من أكــون راعــي خنازير" ، ويقصد -

رحمه الله - أنه يفضل أن يرعى الإبل عند ابن تاشـفـين ولا يـؤســر عـنـد مـلك الـنـصــارى ، فـقدم مصلحة المسلمين وبلاد المسلمين على مصالحه الـشـخـصـيـة، وجـــاء ابن تاشـفـين، وكانت معركة "الزلاَّقة" مع نصارى أسبانيا وانتصر المسلمون انتصاراً ساحقاً ، وتملك ابن تاشفين الأندلس فعلاً ، وأقصى ابن عباد - رحمه الله - وعاش بعيداً عن أشبيلية ، ولكن مأثرته هذه لا تُنسى.

مختارات من كلام الشافعي

ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نفع .
تفقه قبل أن ترأس، فإذا ترأست فلا سبيل إلى الفقه .
لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهَّدهم الله فيه ، وزهدهم فيما رغّبهم الله فيه.
فقر العلماء فقر اختيار ، وفقر الجهال فقر اضطرار .
طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد .
مَن غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها .
لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته ، ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة!
ما أكرمتُ أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدري عنده بمقدار ما زدت في إكرامه .
ليس بأخيك مَن احتجت إلى مداراته .
لو أن رجلاً سوّى نفسه حتى صار مثل القِدْح لكان له في الناس مَن يعانده .
من سام نفسه فوق ما يساوي رده الله - تعالى - إلى قيمته .
من استُغضِب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استُرضَي فلم يرضَ فهو شيطان .

بأقلام القراء

مرحباً بهذا البيان

نقل إليَّ أخ كريم العدد الأول من مـجـلـة "الـبـيان" وكم كان سروري بها عظيماً ، وفرحتي بها غالية ، فنحمد الله - تعالى - على أن وفــق الـقائمين عليها إلى إصدارها ، ونسأله أن يهب لهم التوفيق والنجاح ، وإن العدد الأول من "البيان" يبشر بخير كثير، ففيه الرصانة والجدية والموضوعية في معالجة الأحداث ، والدراسات التأصيلية التي حفلت بها.

ونريد من "البيان" وهي في بداية الطريق :

1- أن تكون - كما قالت عن نفسها -:"مجلة كل مسلم، مهما كان لونه أو جنسه ، وأياً كان موقعه"، بلسان أهل السنة تنطق وإلى طريقهم تدعو ، تطرح الحزبية البغيضة ، التي جعلت المسلمين محاور متنافرة ، وكتلاً متناحرة ، همَّ أحدهم أن يضع العواثير والعوائق في طريق الآخر ، فلاحول ولا قوة إلا بالله.

2- أن تتجنب ذكر الأشخاص بأعيانهم ، ما لم تدعُ إلى ذلك ضرورة ، وفيما عدا ذلك أن تبتعد عن أسلوب التجريح الذي لا يزيد نار الفرقة إلا اشتعالاً ، ولهيب العداوة إلا استعاراً.

3- نريد منها أن تجمع المسلمين حول راية السنة ، وحول منهج أهل السنة ، وذلك بعرض هذا المنهج في صورته الصحيحة ، ونبذ ما سواه من المناهج المنحرفة ، وكشف عوارها ، وبيان زيفها وبطلانها ، وهذا يقتضي ألا يكون بين كُتابها إلا من يحمل هذا المنهج عن قناعة ، ويذب عنه ، ويحسن عرضه ، وهي مع هذا مطالبة بأن تسمع الرأي الآخر ، مهما كان مخالفاً ، وتناقشه ، فإن كان حقاً قبلته ، وإن كان غير ذلك بينته.

4 - نريد منها - في حدود قدرتها - أن تكشف عن أوضاع المسلمين كل المسلمين ، في بلادهم ، وتستقصي أخبارهم ، وتنصر قضاياهم بالحق لا بالباطل.

5- نريد منها أن تقدم حسن الظن بالمسلمين ، حتى يظهر منهم ما لا يُستراب فيه ، وفيما عدا ذلك فالتماس العذر للمسلم حق ، في غير مداهنة ولاتحيز.

6- وأخيراً نريد منها إخلاص القصد لله - تعالى - وصدق المتابعة لرسوله -صلى الله عليه وسلم- .

وفق الله القائمين عليها إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة .. آمين .

أبو عبد الرحمن صالح بن علي بن الكناني

البيان :

نشكر الأخ أبا عبد الرحمن صالح بن علي بن الكناني على عواطفه الطيبة نحو "البيان" ، ونرحب به كاتباً من كُتاب المجلة ؛ فأسلوبه في الرسالة يدل على أن لديه قدرات ومواهب ، وهذا موضعها المناسب إن شاء الله .

ونسأل الله - يا أخي ! - أن يساعدنا على الالتزام بما قلناه في العدد الأول "كلمة في المنهج" ، وبما يريده الأخ ويطلبه منا في رسالته القيمة.

الحضارة المعاصرة .. الوجه الآخر

مشاهداتي في بريطانيا

»إنها ملكة !!«

د.عبد الله مبارك الخاطر

كانت جارتنا عجوزاً يزيد عمرها على سـبـعـين عاماً.. وكانت تستـثير الشفقة حين تشاهَد وهي تـدخـل وتـخـرج ولـيـس مـعها من يساعدها من أهلها وذويها .. كانت تبتاع طعامها ولباسها بنفسها.. كان منزلها هادئاً ليس فيه أحد غيرها ولا يقرع بابها أحد .

وذات يوم قـمـت نحوها بواجب من الواجبات التي أوجبها الإسلام علينا نحو جيراننا، فدهشت أشد الدهشة لما رأت ، مع أننى لم أصنع شيئاً ذا بال ، ولكنها تعيش في مجتمع ليس فيه عمل خير ولا يعرف الرحمة والشفقة ، وعلاقة الجار بجاره لا تعدو - في أحسن الحالات - تحية الصباح والمساء ! .

جـاءت فـي اليوم الثاني إلى منزلنا بشيء من الحلوى للأطفال ، وأحضرت معها بطاقة من البطاقات الـتـي يـقـدمونها في المناسبات ، وكتبت على البطاقة عبارات الشكر والتقدير لما قدمناه نحوها.

وشجعتها على زيارة زوجتي ، فكانت تزورها بين الحين والآخر ، وخلال ترددها على بيتنا علمت بأن الرجل في بلادنا مسؤول عن بيته وأهله ، يعمل من أجلهم ، ويبتاع لهم الطعام واللباس ، كما

علمت مدى احترام المسلمين للمرأة - سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً ، وبشكل أخص عندما يتقدم سنها حيث يتسابق ويتنافس أولادها وأبناء أولادها على خدمتها وتقديرها .. ومن أعــرض عـن خــدمة والديه وتقديم العون لهما كان منبوذاً عند الناس.
كـانــت الـمـرأة المسنة تلاحظ عن كثب تماسك العائلة المسلمة.
كيف يعامل الوالد أبناءه، وكـيـف يلـتـفــون حوله إذا دخل البيت ، وكيف تتفانى المرأة في خدمة زوجها . وكانت المسكينة تقارن بما هي عليه وما نحن عليه .. كانت تذكر أن لها أولاداً وأحفاداً لا تعرف أين هم ، ولا يـزورهــا مـنهم أحد ، قد تموت وتدفن أو تحرق وهم لا يعلمون ، ولا قيمة لهذا الأمر عندهم ! ، أما منزلها فهو حصيلة عملها وكدحها طوال عمرها .. وكانت تذكر لـزوجـتي الصعوبات التي تواجه المرأة الغربية في العمل وابتياع حاجيات المنزل ثم أنهت حديثها قائلة:
إن المرأة في بـلادكــم "مــلــكــة" ولولا أن الوقت متأخر جداً لتزوجت رجلاً مثل زوجك، ولعشت كما تعيشون!
ومثل هذه الظاهرة يدركها كل من يدرس أو يعمل في ديار الغرب ، ومع ذلك فلا يزال في بـــلادنــا من لا يخجل من تقليد الغربيين في كل أمر من أمور حياته ، ولا تزال في بلدان العالم الإسلامي صحف ومجلات تتحدث بإعجاب عن لباس المرأة الغربية ، وعمل المرأة الغربية والأزياء الغربية ، والحرية التي تعيش في ظلها المرأة الغربية !
اللهم لك الحمد أن أنعمت علينا بنعمة الإسلام .
قال - تعالى - : ((يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) [الحجرات:17] .

أدب وتاريخ

معالم حول كتابة التاريخ الإسلامي

محمد العبدة

مصادر أساسية لفهم التاريخ الإسلامي:

أولاً : القرآن الكريم :

تكلمنا في المقال الأول عن السـنن العامة التي وضعها الله - سبحانه وتعالى - والتي تحكم سير التاريخ ، وأنها سنن لا تتخلف إلا أن يشاء الله. وأن القرآن فيه منهج واضح ومستقل لتفسير أحداث التاريخ ، بل هو يحرض ويدعو الناس إلى السير في الأرض وملاحظة هذه السنة ، وما يفعل الله بأهل طاعته وأهل معصيته ، واكتشاف القوانين العامة التي تؤثر في سير المجتمعات والأمم ، ونضيف هنا أن القرآن من المصادر الأساسية في فهم وتعليل بعض أحداث السيرة النبوية كالغزوات الكبار مثل أحد وبدر والخندق وحنين وتبوك ، فقد شغلت غزوة أحد حيزاً كبيراً من سورة آل عمران ، وكذلك غزوة تبوك في سورة "براءة" .

كما يحدثنا القرآن وبصورة مفصلة عن نفسيات وأخلاق المشركين وأهل الكتاب وخاصة اليهود ، ولا يخفى ما لليهود والنصارى من دور في الأحداث العالمية ، ولا شك أن الذي يُخدع بهؤلاء لم يتمكن من فهم القرآن من قلبه ، ولم يستوعب دروسه ، كما يحدثنا بشكل مـفـصـل عن فـئـة قـد توجد في كل عصر ويكون لها دورها في المجتمعات الإسلامية وهم المنافقون ، الذين يخربون من الداخل. هذه الفئة وصفها القرآن حتى كأن صورة كل منافق ترتسم أمامنا شاخصة تلـوح ، وإن دراسـة هذه الأصـنـاف من البشر لهي جديرة أن تعطي للمؤرخ نظرة دقيقة ورحبة عما جرى ويجري من حوادث التاريخ.

ثانياً : السنة :

ورد في السنة أحاديث صحيحة تذكر أحداثاً ستقع أو تحذر المسلمين من أمور يجب عليهم ألا يفعلوها ، أو تصف عصراً بصفة معينة ، كل هذا يلقي أضواءً تعيننا على تحليل وفهم أحداث التاريخ الإسلامي.

1- روى أبو هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال :"هلكة أمتى على يدي غلمة من قريش" (1) ، وكان أبو هريرة إذا روى هذا الحديث يتعوذ من سنة ستين فيقول: "اللهم لا تدركني سنة ستين" (2) والذي حكم سنة ستين هو يزيد بن معاوية ، وقد توفي أبو هريرة - رضي الله عنه - سنة تسع

وخمسين ، والمراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر ومَن قاربهم لا جميع الأمة إلى يوم القيامة (3).
وإذا كـان رســول الله -صـلى الله عليه وسلم- يحذر أمته رأفة بهم ورحمة فيصف بعض الأسر أو الأشـخــاص بـما هم فيه فهذا لا يعني أن يوصف العصر كله أو الدولة بشكل عام بصفات سلبية ، ولكن نستـطـيع القول إن الحديث يصف واقعاً يساعد المؤرخ على الحكم الصحيح المعتدل فلا يغالي في المدح أو الذم والمنقصة.
2 - وصفت العصور الإسلامية الأولى بالإيجابية ، ولكن بشكل عام وليس تفصيلياً كما جاء في الحديث:" لا يـزال هذا الـديـن قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة ، كلهم من قريش ، ثم يكون الهرج" (4).
وقد قال بعض العلماء: إن هذا العدد ليس من الضروري أن يكون متتابعاً، بل الأغلب أنه يكون مفرقاً بين أكثر من دولة. وتد ذكر منهم ابن كثير : الخلفاء الأربعة وبعض ملوك بني أمية ، وبعض بني العباس ، ثم قال: والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث (5) .
وناحية أخرى وهى أن كلمة (دين) قد ترد بمعنى الملك والسلطان ، أي أن سلطان المسلمين وقوتهم وملكهم لا يزال قوياً . كما جاء في حديث آخر :"تدور رحى الإسلام في خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً . قلت: يا رسول الله ! ، مما مضى أو مما بقي ؟ ، قال: مما بقي" (6).
قال الخطيب البغدادي - في شرح هذا الحديث - :" تدور رحى الإسلام" يريد أن هذه المدة إذا انتهت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك - كأنه إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة - قوله: يقم لهم دينهم : أي ملكهم وسلطانهم ، ومنه قوله - تعالى - ((مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ))[يوسف:76] (7).
3- حذر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المسلمين من الفتن، ودلهم على الطريق الأسلم فقال: »يهلك أمتي هذا الحي من

قريش، قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم« (8). فإذا كان المقصود بالحي من قـريــش بـعـض ملوك الدولتين الأموية والعباسية الذين كانوا من الضعف أو السفاهة ما ينطبق عليه أنهم ضيعوا المسلمين في عصرهم ، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- ينصح المسلمين باعتزال الفتن ؛ لأن هاتين الدولتين إسلاميتان رغم ما حصل فيهما من تقصير أو ظلم أو تشجيع لبعض البدع .

ثالثاً : العلماء :

هناك علماء لم يصرفوا جُل عنايتهم للتاريخ، ولكن لهم آراء وتعليقات على بعض الأحداث ، أو نظرات عامة لبعض العصور والدول، وآراؤهم هذه لها قيمة كبيرة ، لأنهم أشد الناس إنصافاً وتحرياً للحق. وليس لهم غرض عند الحكام أو المحكومين يقول الإمام أحمد بن حنبل - عن الذي يتوقف في خلافة علي (رضي الله عنه) ويقول : لا أدري هل كان الحق معه أو مع غيره ؟، ويظن أن هذا من شدة تحرّيه، يقول عنه: "هو أضل من حمار أهله"!.

ويقول ابن تيمية - موضحاً رأي أهل السنة في ملوك الدولتين الأموية والعباسية - :"ما قال أهل السنة أن الواحد من هؤلاء كان هو الذي تجب توليته وطاعته في كل ما أمر به ، بل كذا وقع ، فيقولون تولى هؤلاء وكان لهم سلطان وقدرة ؛ فانتظم لهم الأمر ، وأقاموا مقاصد الإمامة من الجهاد وإقامة الحج والجُمَع والأعياد وأمن السبل ولكن لا طاعة في معصية الله" (9).

وعندما طعن العلماء في نسب العُبيديين الذين كانوا بمصر والذين تسموا (بالفاطميين) . وقالوا: ليس لهم أي صلة بنسب علي بن أبي طالب، وأنهم مجوس ملحدون، فهذا الطعن له أهمية كبيرة ، ويساعدنا على فهم تصرفات هذه الدولة. فهؤلاء العلماء من أمثال أبي حامد الإسفراييني وأبو الحسن القدوري والبيضاوي وابن الأكفاني وغيرهم لا يمكن أن يشهدوا هذه الشهادة تقرباً وتملقاً للخليفة العباسي ببغداد ، كما يريد أن يصورهم البعض ، وهؤلاء أجلّ من أن يشهدوا زوراً من أجل الخليفة (10).

ويبدي ابن تيمية رأيه في خلفاء بني العباس من ناحية إقامتهم للصلوات فيقول : "وكان خلفاء بني العباس أحسن تعاهداً

للصلوات في أوقاتها من بني أمية" (11). ويقول أيضاً ذاكراً بعض سلبيات الدولة العباسية : "وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال:"الفتنة ها هنا" وظهر حينئذ كثير من البدع وعرّبت أيضاً إذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم ، وكان المهدي من خيار خلفاء بني العباس وأحسنهم إيماناً ؛ فصار يتتبع المـنـافـقـيـن الزنادقة" (12).

ويقول أحد علماء المغرب المعاصرين - موضحاً حرص العباسيين الأوائل على نشر السنة : "ولما أراد بنو العباس نقل عاصمة الملك إلى بغداد لم يجدوا في العراق ما يكفي لنشر السنة إلا بأن أتوا من المدينة بعلماء مهدوا السبيل كربيعة بن أبي عبد الرحمن ويحيى بن سعيد وارتحل إليهم هشام بن عروة وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ومحمد بن إسحاق، ومن حينئذ بدأ ظهور السنة هناك"(13) .

رابعاً : علماء مؤرخون :

من أمثال الطبري وابن كثير والذهبي وابن الأثير والسخاوي ؛ فهؤلاء يجمعون بين علم الحـديـث والـفـقه من جهة والتاريخ والكتابة التاريخية من جهة أخرى. ولا شك أنهم مقدمون في توثيقهم للحدث التاريخي أو فهمهم له على المتخصصين في التاريخ الذين لا يهتمون إلا بجمع المادة التاريخية سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة. فعندما يبدي ابن كثير رأيه في الحـجـاج بن يوسف ويقول عنه: "وقد كان ناصبـياً يبغض علياً في هوى آل مروان ، وكان جباراً عنيداً ، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة" (14).

عندما نسمع هذا لا نلتفت إلى ما يحاوله بعض المعاصرين من الدفاع عن الحجاج دفاعاً بارداً ؛ فهو ظالم لا شك في ذلك ، وكلام ابن كثير هو الحق .

ويقول الذهبي عن أمير مصر - زمن الوليد بن عبد الملك - "قرة بن شريك": "ظالم جبار، عاتٍ فاسق، مات بمصر بعد أن وليها سبعة أعوام" (15).

وكيف يكون عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، مجدداً إذا لم يكن هذا الظلم قبله ؟!، ويقول الذهبي أيضاً عن أبي مسلم الخراساني : "كان بلاءً عظيماً على عرب خراسان فإنه أبادهم بحد السيف"(16).
وهؤلاء العلماء المؤرخون معتدلون منصفون يرجعون بالحق إلى نصابه إذا طاشت الكفة هنا أو هناك ، فغُلُوّ الروافض يقابله أحياناً غلو من جهلة أهل السنة ، وتأتي أقوال هؤلاء العلماء هي الحَكَم الفصل ، خاصة عندما يغلب على الناس قلة الإنصاف ، يقول ابن كثير - معلقاً على حديث "خلافة النبوة ثلاثون عاماً ثم يؤتي الله ملكه من يشاء"- : "هذا الحديث فيه رد صريح على الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة ، وعلى النواصب الذين ينكرون خلافة علي بن أبي طالب (17).
ويقول الذهبى عن معاوية - رضي الله عنه - : "حسبك بمَن يؤمّره عمر ، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه ويقوم به أتم قيام ، فيرضي الناس بسخائه وحلمه وإن كان بعضهم تألم مرة منه ، وكذلك فليكن الملك وإن كان غيره من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيراً منه وأفضل ، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله وقوة دهائه وله هنات وأمور والله الموعد" (18).

خامساً : دارسو التاريخ :

وعلى رأسهم مؤسس علم الاجتماع وعالم نقد التاريخ عبد الرحمن بن خلدون الذي حاول في مقدمته المشهورة أن يضع الأسس التي تساعد المؤرخ على تفهم أحوال الدول وتقلباتها وأسباب اضمحلالها ، والمجتمعات وأسباب رقيها وانخفاضها ، وليس هذا موضع تفصيل نظريات ابن خلدون في مقدمته ولكن نضرب مثالاً واحداً للأسس التي وضعها لفهم حقائق التاريخ.
نبه ابن خلدون في مقدمته إلى ناحية مهمة جداً يذهل عنها أكثر الناس وهي تبدل أحوال الناس وتطورهم من حــالـــة إلى حــالـة ، في كثير من العادات والتقاليد أو طريقة التفكير وتناولهم للأمور، أي يجب أن نفهم طبيعة العصر الذي عاش فيه فلان أو قامت فيه الدولة الفلانية ، ولا نقيسه على عصرنا تماماً ، فالبيئة العلمية التي

تكون في عصرٍ ما هي التي تساعد على ظهور علماء مجتهدين ، والذي يظن أنه يجب أن يكون بيننا الآن من أمثال هؤلاء العلماء دون أن يكون هناك بيئة علمية فهو واهم ، وقس على ذلك البيئة الجهادية التي بدأها عماد الدين زنكي وابنه نور الدين والتي كان من نتائجها صلاح الدين الأيوبي.
الذي لا يـتـفطن لهذا يظن أن الأمور متشابهة من كل الوجوه. وقد يرى ما عليه الصحابة والتابعون من قـيـامـهـم بالأعمال الجليلة ، سواء في قيادة الجيوش أو التعليم ، فيظن أنه يمكن أن يتأتى له هذا دون تدريب وتعلم ، ولا يعلم أن العرب - لأول عهدهم بالرسالة - كـانـــوا من صفاء الذهن والذكاء والفصاحة ما جعل هذه الأمور سهلة عليهم. فهم يعلمون طبيعة الناس والمجتمعات دون أن يدرسوا علم النفس وعلم الاجتماع مثلاً ، وقد يرى ما عـلـيه بـعـض الـعـلـمـاء في العصور المتأخرة من التصنع في اللباس والهيئة فيظن أن العلماء السابقين كانوا هكذا .
يقول ابن خلدون:" من الــغـلــط الخفي في الـتـاريــخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ، وهو داء دوي شديد الخفاء ، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحــاد من أهــل الخـلـيقة. ومن هذا الباب ما يتوهمه المتصفحون لكتب الـتاريخ، إذ سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب ، فتترامى بهم وساوس الهمم إلى مثل تلك الرتب، يحسبون أن الشأن في خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل .." [المقدمة 1/320-323] ، كما أن الذي لا يتفطن إلى موضوع التطور البطيء يظن أن الأمور تنتقل فجأة من حال إلى حال ؛ لأنه يدرس المجتمعات كأنها (ساكنة) ، وهذا عكس طبائع العمران كما يسميه ابن خلدون ، فهناك بين الخلافة الراشدة والملك مرحلة وسط هي مزيج من هذا وذاك.
وللمؤرخين من غير المسلمين - وخاصة الغربيين - نظريات في التحليل التاريخي يجب أن لا تُهمل، بل نستفيد منها مع الحذر لما فيها من تعميم أو نظريات مادية أو غير صحيحة. فالمؤرخون الغربيون لهم جهود كبيرة في علم التاريخ، بل نستطيع القول إن

اهتمامهم بهذا الفن قد بلغ مبلغاً عظيماً، وذلك لما رأوه من أثر دراسة التاريخ في معرفة الحاضر والتخطيط للمستقبل.
كـمـا أن الدراسات النفسية والاجتماعية التي تقدمت وتطورت كثيراً في هذا العصر - هي من المصادر التي يُعتمد عليها مع التنبه إلى عدم المغالاة فيها وفي حشرها في كل شيء .

الهوامش :

1 - انظر : فتح الباري 13/9 ، كتاب الفتن.
2 - قال عنه الذهبي: رجاله ثقات . سير أعلام النبلاء 2/626.
3- فتح الباري ، 13/10.
4 - صحيح الجامع الصغير ، 6/233.
5 - تفسير ابن كثير ، 2/32 في تفسير سورة المائدة آية رقم (12).
6 - سنن أبي داود 4/98 ، كتاب الفتن والملاحم.
7 - الفقيه والمتفقه ، 106.
8 - صحيح مسلم، 4/2236، وانظر: صحيح دلائل النبوة للشيخ مقبل الوادعي، 363.
9 - المنتقى من منهاج الاعتدال ، 61.
10 - انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، 11/369.
11- الفتاوي ، 4/21
12- الفتاوى ، 4/20.
13 - محمد بن الحسن الحجوي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، 1/315 ، تحقيق الدكتور عبد العزيز القارئ.
14 - البداية والنهاية ، 9/112.
15 - سير أعلام النبلاء ، 4/49.
16 - سير أعلام النبلاء ، 6/53.
17 - البداية والنهاية ، 6/205.
18 - سير أعلام النبلاء ، 3/133.

مفهوم الجاهلية في الشعر الجاهلي (4)

محمد الناصر

ملخص ما سبق نشره :

ساق لنا الكاتب فـي الحـلقـة السابقة نبذة عن التحالفات القبلية التي كان عرب الجاهلية يعقدونها فيما بينهم ،وضــرب أمثلة ، من تلك الأحلاف ، ثم ذكر المعارك المشهورة التي وقـعـت بـيـن العرب وغيرهم كالفرس،وبين العرب أنفسهم والتي تسمى عـنـدهـم أيــامــاً، واستشهد على ذلك بأمثلة من شعر شعرائهم، وها هو ذا في هذه الحلقة يتابع الحديث عن بقية أيام العرب المشهورة.

3 - حرب البَسوس : (1)

وكانت بـيـن قـبـائـل ربـيـعـة إذ اشـتعلت الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس الميلادي .
وكان سببها اعتداء كـلـيـب سيد تغلب على ناقة للبسوس، اسمها سراب، وكانت البسوس خالة جساس بن مرة سيد بني بكر وكانت خالته من تميم نزلت بجواره .
واسم كليب : وائل بن ربيعة ، لُقِّب بكليب لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب ، فإذا مر بروضة أو بموضع يـعـجـبـه ضرب الكلب ثم ألقاه وهو يصيح في ذلك المكان ويعوي فلا يسمع عواءه أحد إلا تجنب ذلك الموضع ، وكان يقال له كليب وائل ثم اختصروا فقالوا: كليب ، فغلب عليه .
وكان كليب قائد معدّ يوم خزازى ، ففض جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته ، وبقي زمان ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه ، حتى أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ولا يورد أحد مع إبله .
وعندما رأى كليب ناقة البسوس رمى ضلعها بسهم فاختلط لبنها بدمها ، ولما علم جساس بالأمر وسمع صياح البسوس وهي تصيح : واذلاه !، انتقم من كليب وطعنه بالرمح وقتله على حين غِرَّة .
واشتدت الحرب بين الطرفين، وقاد عدي بن ربيعة - الملقب بالمهلهل - جموع تغلب ضد بـنـي بــكــر بـعد أن رفضت المساعي، واستمرت رحى الحرب أربعين سنة وكثرت أيامها

مــثــل: يـــوم عـنـيـزة ويـــوم واردات ، ويـــوم الحنو ويوم القصيبات ويوم تحلاق اللمم الذي حضره الحارث بن عباد .

وقُتل في هذه الحروب جساس بن مرة وأخوه همام ، وبجير ولد الحارث بن عباد ، وخلق كثير ، وملّ الناس الحرب ،ثم عرض المهلهل على قومه أن يغادرهم ، ونزل في حي من اليمن اسمه جنب ثم أجبره القوم على زواج ابنته وساقوا إليه صداقها جلوداً من أدم فقال في ذلك (2) :

أنـكـحـهــا فـقـدُهـا الأراقـمَ فـي جـنــبٍ وكـان الحـبـاء من أَدَمِ (3)

لـو بأبانَـيـــنِ جـاء يـخــطــبُـهـا رُمِّـلَ مـا أنـفُ خـاطـبٍ يـدمِ (4)

ثم انحدر إلى قومه ، فلقيه عوف بن مالك - وهو أبو أسماء صاحبة المرقِّش الأكبر - فأسره ومات في أسره .

قال المهلهل كثيراً من الشعر في هذه الحرب منها هذه القصيدة التي قالها بعد أن أدرك بثأر أخيه (5) :

فإن يكُ بالذنائبِ طال ليلي فـقــد يُبكى من الليل القصيرِ(6)

فلو نُبشَ المقابرُ عن كلـيـب فـيـخـبـر بالذنائب أي زيرِ (7)

فلولا الريحُ أسمعَ أهلَ حَجرٍ صلـيلَ البَيْضِ يُقرعُ بالذكورِ (8)

ومن جيد شعر المهلهل - بطل هذه المعارك - قصيدة ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب واعتبرها من المنتقيات (9) .

وقد قالها يهدد بني بكر، ويتوعدهم بالثأر لأخيه، ويتحدث عن ظلم بني بكر وجساس بن مرة، وما كان من قتله لكليب (سيد العرب من معدّ) وقائدها يوم خَزازى ضد جموع اليمن، إذ قَهرتْ ربيعة ومضر أعداءها ، ثم يهددهم بالذبح ، ذبح الشياه ومن هذه القصيدة:

جارت بنـو بكر ، ولم يعدلوا والمرءُ قد يعرف قصد الطريقْ(10)

حطتْ ركـابُ البغي من وائلٍ في رهطِ جساسٍ ثقال الوسوقْ(11)

يا أيـهـــا الجـاني على قومه مـا لـم يـكـن كان له بالخليقْ(12)

جـنـايـــةً لـم يـدرِ مـا كُنهها جـانٍ ولـم يصـبـح لها بالمطيقْ(13)

مـن عــرفــتْ يوم خزازى له عَـلْـيَـا معدٍّ عند جذب الرتوق(14)

إن امـــرءاً ضـرَّجــتـم ثـوبـه مـن عـاتـكٍ،من دمِهِ كالخَلوقْ(15)
لـم يـكُ كالـسـيـد في قـومـه بـل مـلــكٌ،دِينَ له بالحقـوقْ(16)
إن نحن لم نثأرْ به فاشحذوا شـفـاركـم مـنـا لـحـزّ الحلوقْ(17)
ذبـحـاً كـذبـح الشاةِ لا تتقي ذابـحَها إلا بـشـخْـب العروقْ(18)

هذه الحروب بين بكر بن وائل وتغلب - وكلها قبائل من ربيعة - استمرت عداوتها ، وطالما ذكرها شعراء القبيلتين في شعرهم وهو كثير . نذكر على سبيل المثال عمرو بن كلثوم في معلقته - وهو من سادات تغلب - : (19)

إلـيـكـم يـا بني بكر إليكم ألـمـا تـعـرفــوا مـنـا اليقـينا
ألـمـا تعـلـمـوا مـنا ومـنكم كـتـائـب يـطّـعِـنّ ويـرتمـيـنا

ومعلقة الحارث بن حلزة اليشكري التي يرد فيها على عمرو بن كلثوم وهى طويلة وذلك أمام عمرو بن هند ملك الحيرة : (20)

أيها الناطـق الـمـرقشُ عنا عـنـد عمرو وهـل لذاك بقاءُ
ما أصابوا من تغلبي فمطلو لٌ علـيـه إذا تـولـى الـعفـاءُ

4 - حرب داحس والغبراء : (21)

وهي من أيام قيس فيما بينها، كانت في أواخر العصر الجاهلي بين قبيلتي عبس وذبيان ، وسببها رهان على الخيل، منها فرسان اسمهما داحس والغبراء،سميت الحرب باسمهما ، كان سيد بني عبس: قيس بن زهير قد اشتراهما من أهل مكة.. بعد خلاف مع الـربيع بن زياد (وهو من سادة عبس أيضاً) على درع موصوفة لقيس اشـتـراهــا مـن الـمـديـنـة المنورة ليحارب بني عامر ويثأر لأبيه.

نزل قيس بن زهيـر في جوار حذيفة بن بدر ، وأخيه حَمَل بن بدر من سادة ذبيان.. وكان حـذيـفــة يحسد قيساً على خيوله ويكتم ذلك في نفسه. استغل حذيفة بن بدر غياب قيس للعمرة ، فـراهـــن أحد بني عبس على السباق بين فرسين لقيس: داحس والغبراء ، مقابل فرسين لحذيفة: الخطّار والحنفاء.

ولما رجع قيس أراد فك الرهان فرفض حذيفة، وكان على مائة من الإبل، ثم أجريا السباق ، وكمن رجل من بني أسد في الطريق ليرد داحساً إن جاء سابقاً.. وفعلاً نفذ الأسدي خطة حذيفة ولطم

وجه داحس فألقاه وفارسه في الماء ثم جاءت الغبراء سابقة وتبعها الخطار ثم الحنفاء ثم داحس ، وندم الأسدي لما كان منه واعترف بما صنع ، وأنكر حذيفة ذلك وطلب الرهان المضروب..
حاول الناس أن يتوسطوا بالأمر، ورضي بنو عبس بجزور واحدة يطعمونها أهل الماء ومَن حضر وقالوا: إنا نكره القالة في العرب، فأبى بنو فزارة (من ذبيان) وقال أحدهم: مائة جزور وجزور واحدة سواء.
لجّ حذيفة في ظلمه وأرسل ابنه ندبة يطالب بالسبق، هنا تناول قيس الرمح وطعنه فقـتله، ورحل بمن معه من عبس ، وأرسل لأخيه مالك ليلحق به ، إلا أن حذيفة بعث من يقـتـل مالك بن زهير ، وعلم الربيع بن زياد بذلك فجزع على مقتل مالك وقال قصيدة منها:(22)

من كــان مـســروراً بمـقـتـل مالـك فليأتِ نسوتنا بوجه نهـارِ (23)
يـجـد الـنـسـاء حواسراً يـنـدبـنـه يلطِمْن أوجهَهن بالأسمــارِ (24)
يضربن حـُــرّ وجـوههـن على فتًى عـفِّ الشـمـائـلِ طـيـبِ الأخبارْ

واجتمعت عبس كلها على حرب ذبيان ، وأحلافها من أسد وتميم وكان قد انضم إلى عبس بنو عامر. واستمرت الحرب - فيما يقال - أربعين عاماً . وكان من أهمها وأشهرها: يوم المريقب وفيه قتل عنترة بن شداد ضمضماً والحارث بن بدر وإلى هذا يشير في معلقته: (25)

ولـقـد خشـيـت بأن أموت ولم تدرْ للحرب دائرة على ابني ضمضم (26)
إن يـفــعـلا فـلـقـد تركـت أبـاهـما جـزَراً لـخـامـعـة ونـسـر قـشـعـم (27)

ومنها يوم جفر الهباءة ، وفيه قُتّل حذيفة وحمل ابنا بدر ورثاهما قيس بن زهير رثاءً حاراً ، وكنا قد أشرنا إلى ذلك خلال حديثنا عن الثأر .

وكانت عبس قد تعرضت لترحال كثير، وحروب شديدة مع العديد من قبائل العرب أمثال شيبان وأهل هَجَر ، وكلب ، وبني ضبة وتيم الرباب ، ومع بني عامر حلفائهم السابقين . وكان عنترة العبسي من أبطال هذه الحروب وقد سجلها في ديوانه (28) .
وكان قيس بن زهير قد قال لقومه بعد أن ملّ الحرب وأُنهكت عبس : ارجعوا إلى قومكم فهم خير لكم .. فأما أنا فلا والله لا أجاور بيتاً غطفانياً أبداً ، فلحق بعُمان وهلك بها .
ورجع الربيع وبنو عبس وقال في ذلك :(29)
حـرّقَ قـيـس عـلـيَّ الـبلا د حتى إذا اضطرمت أجذما
جـنـيـةُ حرب جناها فما تـُفِـرِّجُ عـنـه ومـا أَسْلِـمَا
ولما تفانى الحيان عندها رغبت عبس في الصلح واستجاب لذلك سيدان من ذبيان هما الحارث بن عوف المري ، وهرم بن سنان ، وتحمل السيدان المذكوران الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين . وفي هذه الحرب ووصفها ، وتصوير شدتها وبشاعتها قال زهير بن أبى سُلمى معلقته الشهيرة ، وفيها يمدح هذين السيدين ومن قوله : (30)
سعى ساعياً غيظ بن مرة بعدما تـبـزل مـا بـيـن العـشـيرة بالدم
تداركـتـما عـبـساً وذبيان بعدما تـفـانوا ودقوا بيـنهم عطر منشم
عظـيمـيـن في عُليا مـعـدّ هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
هذه صورة موجزة عن حرب داحس والغبراء ، وقد عرفنا سببها وملابساتها ، وقد تتكرر أمثال هذه الخلافات على رهان آخر على سباقات متنوعة، وألـعـاب تـتـلـون بلون العصر الحاضر ، وظروفه من سباق السيارات،ومباريات رياضية، تُشد إليها الأعصاب، ويتحزب من أجلها الفرقاء .

5 - حروب الفجار : (31)

الفجار (بالكسر) معناه المفاجرة،كالقتال والمقاتلة،وذلك لأنها وقعت في الأشهر الحرم،وهي الشهور التي كان العرب يحرمون القتال فيها ،إلا أنهم فجروا فيها بسبب هذه الحرب .
وهي فجاران : الفجار الأول ثلاثة أيام ، والفجار الثاني خمسة أيام في أربع سنين ، وقد حضر النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم

عكاظ مع أعمامه ، كان يناولهم النبل ، وانتهت هذه الحروب سنة (589م) .

أيام الفجار الأول :

اليوم الأول : كان سببه أن بدر بن معشر الغفاري (ينتهي نسبه إلى كنانة) كان رجلاً منيعاً يستطيل على مَن يرد سوق عكاظ ، وفي أحد المواسم جلس ومد رجله ، وقال : أنا أعز العرب فمَن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف !، وثب رجل من بني نصر من هوازن ، وضربه على ركبته بالسيف فخدشها خدشاً يسيراً ، واختصم الناس ثم اصطلحوا .

وسبب اليوم الثاني : يقال : إن شباباً من قريش وكنانة قعدوا إلى امرأة من بني عامر ، وكانت وضيئة عليها برقع ، وذلك في سوق عكاظ ، وقالوا لها : أسفري عن وجهك !، فرفضت ، ثم قام غلام منهم وربط ذيل درعها إلى ظهرها وهي لا تشعر ، فلما قامت انكشفت درعها عن ظهرها فضحكوا وقالوا : منعتِنا النظر إلى وجهك ، وجدتِ لنا بالنظر إلى ظهرك ؟! ، نادت المرأة : يا بني عامر فُضحت ، فساروا إليها وحملوا السلاح ، وحملته كنانة وقريش ، واقتتلوا ، ووقعت بينهم دماء يسيرة ، ثم توسط حرب بن أمية واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر عن مُثلة صاحبتهم (32) .

أمـا الـيـوم الـثـالـث : فسببه أن رجلاً من كنانة كان عليه دَين لرجل من بني نـصـر (مـن هوازن) ، جاء النصري سوق عكاظ بقرد وقال : من يبيعني مثل هذا بمالي على فلان ، فعل ذلك تعييراً للكناني وقومه ،ولما مر به رجل من كنانة ضرب القرد بالسيف وقتله أنفة مما قال النصري ، عندها صرخ كل من الرجلين يا آل كنانة ، يا آل هوازن تجمع الحيان ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى ، وأصلح عبد الله بن جُدعان بين الناس .

أيام الفجار الثاني : (33)

هاجت الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة ، وبين قيس عيلان وسببها : أن عروة الرجال وهو من بني عامر كان قد أجار لطيمة للنعمان بن المنذر ، ولما قال له البرّاض بن قيس الكنانى (34): أتجيرها على كنانة ، قال : نعم وعلى الخلق كلهم .

خرج في اللطيمة عروة الرجال ، وتبعه البراض يطلب غفلته ، وفي تيْمُن من أرض نجد ، غفل عروة ، فوثب عليه البراض وقتله في الشهر الحرام ، علمت قريش بالخبر وهم في عكاظ، وانسلت، وهوازن لا تشعر بها، ولما علمت هوازن تبعتهم وأدركتهم قبل أن يدخلوا الحرم واقـتـتل الفريقان حتى جاء الليل ودخلت قريش الحرم وأمسكت عنها هوازن ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً عدة، منها يوم شمطة، ويوم العبلاء، ويوم عكاظ وهو أشدها.
ويذكر ابن هشام أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان قد شهد بعض أيامهم ؛ إذ أخرجه أعمامه معهم وقال - عليه الصلاة والسلام - : "كنت أنبل على أعمامي" . أي أرد عليهم نبل عدوهم إذ رموهم بها .
كان حرب بن أمية قائد قريش وكنانة وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة .
قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابن عشرين سنة .
ويروي ابن الأثير : أن الحيين بعد يوم عكاظ تداعوا إلى الصلح ، واصطلحوا على أن يعدوا القتلى وتدفع الديات ، ورهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان يومئذ في ديات القوم حتى يؤديها ، ورهن غيره من الرؤساء ، ثم وضعت الحرب أوزارها .
وقد ذكر الشعراء هذه الحروب مثل ضرار بن الخطاب الفهري : (35)

ألم تسأل الـناس عن شأنـنا ولم يُـثْبِـتِ الأمـر كالـخـابــرِ
غــداةَ عكـاظ إذ استـكمـلت هــوازن في كـفـهـا الحـاضــرِ
فـفـرت سُـلـيـم ولم يصبروا وطـارت شَعاعاً بنو عامرِ(36)
وفـرت ثـقــيـف إلى لاتهـا بمنقلب الخائب الخاسرِ(37)

وفي يوم العبلاء يقول خداش بن زهير :

ألم يبلغك ما قالت قريش وحـي بني كنانة إذ أُثيروا
دهـمـناهـم بأرعـن مكفهر فظل لنا بعقوتهم زئيرُ (38)

هذه الحروب كانت بين قريش وأحلافها ضد قبائل قيس عيلان من هوازن وثقيف ، ومن قريش كان الرسول - عليه الصلاة والسلام -

والمهاجرون من أصحابه ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس ، حملوا مشعل الهداية والنور ، إلى العالم كافة .

الهوامش :

1- الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ج 1 ، ص 312-324 . وانظر أيام العرب في الجاهلية ، ص 142 - 167.
2- الشعر والشعراء لابن قتيبة 1/305 .
3- الأراقم : أحياء من قومه .
4- أبانان : جبلان ، رمل : لطخ بدم .
5- الأصمعيات رقم 53 ، ص 154.
6- الذنائب : موضع به قبر كليب .
7- أيْ : أيُّ زير أنا ؟ ، وهو الذي يخالط النساء ويريد حديثهن لغير شر .
8- حَجر : مدينة باليمامة - الذكور : جود السيوف ، ويقرع : يضرب وفي البيت مبالغة : إذ لولا الريح لسمع أهل اليمامة صليل السيوف .
9- جمهرة أشعار العرب 2/587 - 594 .
10- قصد الطريق : استقامة الطريق .
11- الوسوق : الأحمال .
12- الخليق : الجدير بالشيء .
13- كنهها : غايتها ونهايتها .
14- (رواية أخرى أخذ الحقوق بدلاً من جذب الرتوق) وجذب الرتوق : أي عند تصدع الكلمة وانشقاق العصا ووقوع الحرب .
15- عاتك : شديد الحمرة . والخلوق : ضرب من الطيب .
16-أي كان كليب ملكاً دان له الناس بالطاعة .
17- شفرات السيوف : حدّها .
18- شخب العروق : قطعها وسيلان الدم منها .
19-شرح القصائد العشر للتبريزي .
20- المصدر السابق ، ص299 ، والمرقش الذي يزين القول بالباطل ليقبل الملك منه باطله ، مطلوب عليه : أي لا يُدرك بثأره .

21- الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ج1 ، 343-355 ، وأيام العرب في الجاهلية ، جاد المولى ، ص246-277 .
22- القصيدة (348) من ديوان الحماسة لأبي تمام ، تحقيق العسيلان .
23،24 - أي كانت نساؤنا يخبأن وجوههن عفة وحياءً ، والآن ظهرن لا يعقلن من الحزن !
25 - المعلقة ، ص475 اختيارات الأعلم .
26 - ابنا ضمضم : كان عنترة قتل أباهما وهما يتواعدانه .
27 - الخامعة : الضبع ، والقشعم : من النسور الكبيرة ، وفي رواية التبريزي (جزر السباع ، وكل نسر قشعم ، ص251).
28 - انظر اختيارات الأعلم الشنتمري (من ص482 حتى ص 517) .
29 - ديوان الحماسة لأبي تمام ، رقم القصيدة (165) ، العسيلان .
30 - معلقة زهير (شرح القصائد العشر للتبريزي ، ص125 وما بعدها) . والأبيات قد مرت وشرحت في مناسبة سابقة .
31 - الكامل في التاريخ 1/359 ، وانظر أيام العرب في الجاهلية (ص322) وما بعدها .
32 - (يروي ابن الأثير أنه لم يحصل قتال ورأوا أن الأمر يسير واصطلحوا) .
33 - السيرة النبوية لابن هشام 1/184 ، وانظر الكامل في التاريخ .
34- وكان رجلاً خليعاً فاتكاً
35- عن أيام العرب في الجاهلية ، ص335 .
36- شعاعاً : متفرقين .
37- لاتها : أى صنمها : (اللات) .
38- المصدر السابق ، ويقصد بالعقوة : الساحة والمحلة ، وبالأرعن الأنف العظيم من الجبل شبّه به الجيش .

مفهوم السببية عند أهل السنة

(3)

طارق عبد الحليم

يـنطـلق أهـل السنة فـي تـصـوراتهم كافة من أصول ثابتة في النظر والاستدلال، مبنية على وحدة المصدر والوسيلة ، فالـمصدر هو كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، أما الوسيلة فهي الـمـنـهـج المستقى منهما ، والذي نهجه صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعون ، سلف الأمة الصالح في القرون الثلاثة الفضلى ، حيث يُنزلون كل دليل صحيح منزله، ويفـهـمـون مـنـه مقصوده، ويجمعون بينه وبين غيره، ولا يعارضون عاماً بخاص، ولا مطلقاً بمقيد، ولا كـلـيــاً بجزئي، بل يعرضون هذا على ذاك، كما لا يَدَعون مبيناً لمجمل ، ولا محكماً لمتشابه ، ولا شرعياً لعقلي ، ولا يغالون في اتباع الظاهر حتى يذهلهم عن المقاصد والنيات ، كما لا يسيرون وراء البواطن حتى يعميهم ذلك عن الحق الجلي الظاهر.

وهم لا ينكرون على العقل مكانته التى بها كرمه الله - سبحانه - على سائر مخلوقاته ، إلا أنهم يدركون مواضع قوته ، ومواطن ضعفه ، فلا يقدمون بين يدي الله ورسوله بحكم عقلي مظنون.

وليس هذا موضع الاسترسال في الحديث عن ذلك المنهج السوي السديد ، نسأل الله - تعالى - أن يلهم المسلمين كافة اتباعه والعدول عن غيره من المناهج التي لم تورث ذلك الكيان الإسلامي - على مر العصور- إلا الضعف والوهن والبلاء.

من ذلك المنهج - إذن - استقى أهل السنة آراءهم في المسائل التي ذكرنا فيها اختلاف المُفْرِطين والمفَرِّطين ، وسنبين في هذا المقام - بإيجاز لا يخل بالقصد - مفهوم أهل السنة عن تلك المسائل التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة السببية.

أهل السنة والقدر:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء" رواه مسلم.

كما جاء في حديث جبريل - الذي رواه البخاري عن أبي هريرة - قال: "... وأن تؤمن بالقدر كله".
يؤمن أهل السنة إيماناً راسخاً بالقدر خيره وشره وأن "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" ؛ ذلك أن الله - سبحانه - قد "جبل" الناس على صفات وِفطَرٍ - كما خلق الأشياء على طبائع وقوى - لحكمة بالغة له في ذلك كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأشج عبد القيس: "إن فيك خُلُقين يحبهما الله الحِلم والحياء ، قال: جبلاً جُبلت عليهما أم خُلقا فيَّ ؟ ، قال: بل جبلاً جبلت عليهما ، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين أحبهما الله" [خلق أفعال العباد للبخاري ، 39].
ولفظ "الجِبِلّ" غير لفظ "الجبر" الذي لم يرد به كتاب أو سنة ، فالجبل: هو أصل الخلق على صفة من الصفات ، أما الجبر فهو الإكراه على الفعل ، كما يجبر الأب ابنته على النكاح ، والله - سبحانه - لا يجبر عباده على فعل من الأفعال بل كل عبد يأتي ما يفعل - حسب جبلته الأصلية - مختاراً مريداً ، لهذا فقد تشدد الأئمة في المنع من إطلاق لفظ الجبر لما فيه من إجمال وإشكال ، فان أراد أحد أن يقول أن في الجبل معنى للجبر ، قلنا إن ذلك صحيح في أصل الخلقة لحكمة الله - تعالى - فيما اختاره من جبلة كل عبد حين خلقه ، أما أن يجبره على الفعل حين الفعل فهذا المعنى غير صحيح.
ثم إن الله - سبحانه - قد علم - بواسع علمه وشموله - ما سيكون من أفعال العباد على وجه التفصيل والإحاطة،((لا يعزب عنه من ذلك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض »ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ))«[الملك:14]، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق الخلق ، فما من شيء إلا وهو مدون في أم الكتاب:((»إنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثَارَهُمْ وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إمَامٍ مُّبِينٍ«)) [يس:12] ، كما أنه لا يقع من تلك الأفعال - التي قد علم (سبحانه) بوقوعها وكتبها في أم الكتاب - إلا حسب مشيئته وإرادته ؛ فإنه - سبحانه - "تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته ، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن ، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع ، وأنه لو شاء لكان خلاف

القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عُصي ، وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة ، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته ، وأن ما لم يقع لعدم مشيئته" [شفاء العليل ابن القيم ، 44].

ولابد في هذا المقام من التمييز بين أمرين على غاية الأهمية ، لم يلحظهما المخالفون لأهل السنة ، فكان ما كان من زللهم الذي بيناه.

ذلك أن الإرادة الإلهية نوعان:

1- الإرادة الكونية:

وهي الإرادة الشاملة لله - سبحانه - والتي لا يكون أمر من الأمور على خلافها، فالطاعة والمعصية ، والخير والشر يقع كلاهما على مقتضى تلك الإرادة ، وهو إن شاء منع المعصية والكفر، إلا أنه - سبحانه - أراد وقوعها إرادة كونية ، ولم يرد وقوع خلافها، وإلا لكان خلافها هو الواقع فعلاً ، ولا مدخل لمحبته - سبحانه - ورضاه في تلك المشيئة.

2- الإرادة الشرعية:

وهي محل أمره ونهيه - سبحانه - والتي بها نزلت الشرائع وفصلتها الرسالات ، فإنه سبحانه أراد من العبد أن يفعل ما أمر بفعله وأحبه منه ورضي عنه به ، كما أنه لم يرد من العبد فعل ما نهاه عنه وكرهه عليه إلا أنه يقع من العبد على خلاف الإرادة الشرعية، والله -سبحانه - لا يجبر عبداً على فعلها أو على إتيانها ، إنما الإرادة هنا مقرونة بالمحبة والرضى كما في قوله - تعالى -:((»يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ«)) [البقرة:185] وقوله: ((»واللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ«)) [البقرة:205] فعدم محبة الله للفساد لا تستلزم عدم وقوعه ، كما أنها لا تعني أنه يقع في الكون ما يخالف الإرادة الإلهية ، فعدم المحبة هنا يعني المحبة الشرعية وليس الإرادة الكونية التي بها يقع الفساد وغير الفساد.

بالتمييز بين الإرادتين يتضح خطأ قول مَن قال: إن الطاعة والمعصية تقعان حسب إرادة الله ومشيئته ، لعموم قدرته التامة ، ولجأ إلى نفي الحكمة. كذلك فإن الله - سبحانه - قد خلق الأشياء في عالم المادة - ومنها الأفعال غير الاختيارية لبني آدم - وأودع

فيها قوى وطبائع وصفات [شفاء العليل ، 188] وسيَّرها حسب قوانين وسنن عامة تتلاءم مع تلك الطبائع بحيث لا تتخلف ، إلا أن يشاء الله (سبحانه) أمراً - كما في حالة المعجزة أو الكرامة - وذلك بإيقاف عمل السنن أو القوى الجارية ، أو أن يخلق مانعاً يمنعها من العمل حسب تلك السنن ، كما في حادثة إحراق الخليل إبراهيم - عليه السلام - وتلك السنن والطبائع والصفات في الأشياء هي من قدر الله - سبحانه -:((»إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ«)) [القمر:49] وإنكارها إنكار لقدر من قدر الله - سبحانه - وواجب العبد إزاء القدر أن يكون على حالين: "حال قبل القدر ، وحال بعده ، فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه ، فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه ويرضى به ، وإن كان بفعله - وهو نعمة - حمد الله على ذلك ، وإن كان ذنبًا استغفر إليه من ذلك"[الفتاوى لابن تيمية ، 8/76 ، شفاء العليل ، 34].

أهل السنة وخلق الأفعال:

وقاعدة أهل السنة في ذلك أن الله سبحانه "خــالــق كـل شيء"؛ فهو خالق للعبد، وخالق لفعله ، وخالق لقدرته التي يفعل بها الفعل ، والعبد لا يتصف بالخلق بشكل من الأشكال إنما هو فاعل بتلك القدرة المخلوقة له.

وخلْق الله للفعل لا يعني أن الله - سبحانه - هو الذي فعله أو أنه ينسب إليه فعله ، أو أن قدرة العبد ليس لها عمل أو تأثير في إيجاد الفعل ، وإلا فكيف يعاقب الله - سبحانه - العبد على ما فعله هو - سبحانه - ، أو أن يثيبه على ما لم يفعله ؟! ، والجواب على ذلك أن الـعـبــد فاعل مختار بقدرته المخلوقة [شفاء العليل:52] ، وأما عن أثر قدرته فإن كلمة "التأثير" فيها اشتراك ، أي تحمل عدة معانٍ:

1- إما أن يكون أثر القدرة الإنسانية هو الانفراد بالفعل ، دون القدرة أو الإرادة الإلهية ، وهو باطل متفق على بطلانه.

2 - أو أن يكون أثر القدرة الإنسانية هو في معاونة القدرة الإلهية على إخراج الفعل للوجود ، وهو كسابقه من أقوال أهل البدع.

3- أن يكون الـتـأثـيـر في إخـراج الـفـعـل مـن العدم إلى الوجود بواسطة القدرة الإنسانية المحدثة ، بمعنى أن القدرة الإنسانية التي خلقها الله - تعالى - للعبد هي سبب وواسطة في خلق الله - سبحانه - للفعل بهذه القدرة ، كما خلق النبات بالماء ، والغيث بالسحاب. وقد قال تعالى:((»قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ«)) [التوبة:14] فبيَّن أنه المعذب ، وأن أيدينا أسباب ووسائط لهذا التعذيب [عن الفتاوى لابن تيمية:8/389]. ومن هنا يتضح أنه لا تعارض بين أن الله - سبحانه - خالق لأفعال العباد ، وأن العباد فاعلون لها مختارون بقدرتهم المخلوقة لهم ، والتي وجهوها كما أرادوا لذلك الفعل. ومن هنا كذلك تنسب الأفعال للعباد ؛ فيقال: إنهم "مصلّون" أو "سائرون" أو "عاصون" أو غير ذلك من أفعال، وأن أفعالهم قائمة بهم لا بالله ، وأنها فعل لهم لا لله ، كما في القرآن من قوله تعالى: »يعملون« ، »يؤمنون« ، »يكفرون«.
وهنا ينبغي التفطن إلى أمر آخر ، وهو أن الله - سبحانه - إذا أحب عبداً هيأ له أسباب الخير وعاونه عليه منة منه وفضلاً ، فهو يوفقه إلى ما فيه الطاعة ، ويبعده عـمـا فــيــه العصيان بفتح أبواب تلك وإغلاق أبواب ذاك ، كما أنه إذا أبغض عبداً منع عنه أسـبـاب الهداية ولم يوفقه إليها حكمة منه وعدلاً ، فهو يمد له في أسباب العصيان والـكـفـر مداً، ويمهله رويداً؛ حتى يأتيه وعده بغتة وهو لا يشعر، كل ذلك والـعـبـد نـفـسـه هـو الفاعل لأفـعـالـــه المختار لها ، وإنما الهداية من الله بمقتضى الفضل والرحمة ، والإضلال منه بمقتضى العدل والحكمة [شفاء العليل:31].

أهل السنة والتحسين و التقبيح:

رأينا فيما سبق كيف اشتط القدرية المعتزلة في إثبات الحسن والقبح العقليين (اللذيْن يدركان بالعقل) فأثبتوا للأفعال صفات لازمة لها، وليس للشرع من دور إلا الكشف عنها، كما أن الشرائع لا تأتي إلا وفقاً لتلك الصفات ، تابعة لها ، فما يحسّنه العقل يأتي الشرع بحسنه والعكس.
كما أننا رأينا كيف أفرط مناقضوهم في إنكار أن يكون للفعل صفات أصلاً ! ؛ حتى يدركها العقل ، والأفعال متعادلة في الحسن

والقبح حتى يأتي الشرع فيحسن ذلك ويـقـبـح تــلـك بمطلق الإرادة الإلهية ، ولو قبح الحسن لقُبح ، ولو حسن القبيح لحسن !.
والحق - الذي عليه أهل السنة - هو أن الله - سبحانه - قد خلق الأفعال ، وخلق لــها صفات ، كما خلق الأشياء وخلق فيها طبائع وقوى ، والأفعال تحسن وتقبح بتلك الصفات المخلوقة لها ، وقد يعلم هذا الحسن أو القبح بالعقل أو بالشرع ، وكثير من الأمم الضــالـة التي لم تهتدِ بهدْي النبوة قد وجد فيها تقبيح الظلم وكراهته ، وتحسين العدل ومحبته ، وما سن القوانين التي عُرفت منذ القديم إلا دليل على ذلك ، بما اشتملت عليه من مبادئ تتوافق مع مبادئ الشرع في بعض ما تأخذ به من أحكام.
إلا أن مدار الأمر في هذه المسألة هو أن الثواب والعقاب لا يترتبان على الفعل إلا بعد ورود الأمر الشرعي ، وهو ما غلطت فيه القدرية الذين جعلوا الثواب والعقاب والتكليف بحسب العقل ، كذلك فإن الله - سبحانه - قد يأمر بشيء ليمتحن به العبد ، ولا يكون مراده هو الفعل بذاته، ولكن امتثال الأمر هو المطلوب لمعرفة طاعة العبد لله، كما أمر إبراهيم الخليل بــذبــح ابنه ، وهنا يتضح قسم آخر ورد فيه الأمر الشرعي بما هو قبيح في أصله لحكمة إلهية تقتضي ذلك ، فذبح الولد ليس حسناً وإنما كان لحكمة الابتلاء ، وأصل الأحكام الشرعية ليست من هذا القبيل ، وإنما هذا يبين خطأ المعتزلة الذين أنكروا أن يأمر الله بخلاف ما هو حسن عقلاً ، وخطأ الأشاعرة الذين اعتقدوا أن الأحكام الشرعية كافة من هذا الباب للامتحان والابتلاء دون أن تحتوي بذاتها على حسن أو قبح أو مصلحة أو مفسدة للعباد [انظر: الفتاوى،8/428 وبعدها].

أهل السنة والحكمة والتعليل:

ينطق كتاب الله المقروء ، وكون الله المشهود ، كلٌّ بآياته وأسلوب دلالاته - بتلك الحِكم البالغة التي لأجلها شرع ما شرع للناس من أحكام ، وبنى ما بنى في الوجود من عوالم وأكوان ، ففي كتاب الله ما يكاد يخرج عن الحصر من أدلة تثبت حكمة الله - سبحانه - في أفعاله ، وأنها كلها معللة بعلل تتلاقى في أنها لصالح العباد والبلاد ، ولإقامة حال الدنيا وما فيها ومَن فيها على

أحسن ما يكون لهم ، فما يظهر فيها من خير فهو من رحمة الله وفضله ، وما يبدو من شر- ليس إليه سبحانه - فهو من عدله وحكمته. وإليك بعض ما اجتزأنا من أدلة سردها ابن القيم فيما يبلغ ثلاثة وعشرين وجهًا:

الأول: التصريح بلفظ الحكمة ، كقوله - تعالى -:((»حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ«)) [القمر:5] ، ((»وإنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ«)) [النمل:6].

ثانياً: إخباره عن فعل كذا لكذا ، كقوله - تعالى -:((»ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ«)) [المائدة:97].

ثالثًا: لام التعليل ، كقوله - تعالى -:((»لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ«)) [الأنفال:42].

رابعًا: كي التعليلية ، كقوله - تعالى -:((»كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ)) «[الحشر:7].

خامساً: "أنْ" والفعل المستقبل بعدها ، كقوله - تعالى -:((»أَن تَقُولُوا إنَّمَا أُنزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا«)) [الأنعام: 156].

سادساً: ما هو من صريح التعليل ، كقوله - تعالى -:((»مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ«))[المائدة:32].

سابعاً: التعليل بلعلّ ، وهى تفيد العِلّية في كلام الله - تعالى - كقوله: »لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ«.

ثامناً: إنكاره - سبحانه - التسوية بين المختلفين والتفرقة بين المتساويين كقوله تعالى: ((»أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ«)) [القلم:35].

تاسعاً: أمره - سبحانه - بتدبر كلامه والتفكر في مغزى أوامره ونواهيه ، وهو يدل دلالة صريحة على ما تتضمنه تلك الأوامر والنواهي من حكم بالغة ومصالح وغايات مطلوبة. وإلا ما كان هناك داعٍ للتفكر والتدبر بها [شفاء العليل لابن القيم ، ص190 وما بعدها].

ويا سبحان الله العظيم ! أن تحتاج مثل هذه القضية إلى أدلة وبراهين للمحاجة عنها: ألم يسمِّ الله نفسه حكيماً ؟! وكيف يليق بالرب - سبحانه - أن يقال: إن أفعاله ليست لدواعٍ أو أسباب أو

حكم ، إنما هي محض مشيئة ترجح مثلاً على مثل بلا داعٍ لذلك ! في حين أن مجرد وصف أحد الناس بمثل تلك الصفة هو سمة عار ومظهر نقص في قواه العقلية التي تدفعه للعمل دون مبرر إلا أنه أراده هكذا لا غير !!

أما إذا ذهبنا نتتبع كون الله المشهود لنرى مواطن حكمته في خلقه ؛ لخرجت الآيات الدالة على ذلك عن الحصر بلا جدال.

أهل السنة والسببية:

كان نفي الحكمة وادعاء عدم عِلّية الأحكام الشرعية ، وانتفاء مقصد المصلحة فيها باباً لنفي الأسباب جملة في حياة الناس وتصرفاتهم ، وفي ظواهر الحياة المادية وحركاتها ، وادعاء أن الله لم يجعل شيئاً في الدنيا سبباً لشيء ولا رتب شيئاً على شيء ، بل كل ذلك من أوهام العقل الذي لم يصل إلى منتهى التوحيد ليشهد أن الله هو الفاعل وحده ، فما ثمة سبب إلا الله -سبحانه - ! وكان ذلك التقرير إهداراً للعقل والفطرة معاً ، بل هو أكبر من ذلك ؛ إذ إن الشرع قد ربط الأسباب بمسبباتها في الأحكام والقدر وأفعال العباد ، بل كل ما في الكون هو مبني على التسلسل السببي شرعاً وقدراً ، فالإنسان سبب في أفعاله ، إذ هو الذي يسببها ، وعليها يثاب أو يعاقب ، وهو ينال ما قُدر له بالسبب الذي أُقدر عليه ومُكّن منه وهُيئ له ، فإذا أقر بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب [شفاء العليل لابن القيم،25] وكلما ازداد اجتهاداً في تحصيل الأسباب ازداد قرباً من الله، ومما هو مقدور في الكتاب ، وقد كان من حسن فقه الصحابة أنهم قد ازدادوا عملاً لما فهموا القدر حق الفهم ، وعرفوا أن مصالح الدنيا والآخرة ترتبط ارتباطاً تاماً بما يكتسبونه في حياتهم.

فالصلاة أخذ بالسبب الموصل إلى رضا الله - سبحانه - وهو قد جعلها سبباً لرضاه ، كما أن السعي للرزق سبب للحصول عليه ، والقعود في الدار وانتظار أن تمطر السماء غذاءً وكساءً لن يُنتج إلا الحسرة والفاقة.

ومن هنا فحق التوحيد أن تسعى عن طريق الأسباب التي خلقها الله - سبحانه - لتصل إلى النتائج التي أرادها الله - سبحانه - ، لا أن تُعْرض عن أسبابه مدعياً الوصول إلى النتائج دونها.

وما سبق أن ذكرناه في باب إثبات الحكمة والتعليل هو بذاته دليل على أن الله - سبحانه -بنى الدنيا على قاعدة ربط الأسباب بمسبباتها في الظواهر المادية أو التصرفات الإنسانية أو الأحكام الشرعية.
ففي التصرفات الإنسانية قال - تعالى - : ((فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً))[الحاقة:10] . وفي الظواهر المادية قال - تعالى -:((» ونَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وحَبَّ الحَصِيدِ«))[ق:9]. وفي الأحكام الشرعية قال - تعالى: ((»والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ)) «[المائدة:38] وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء كما في قوله -تعالى -:((»يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً«)) [الأنفال:29].
ولا فرق في ذلك بين الأحكام الشرعية - التي هي حكم الله تعالى في خلقه الإنسانى - وبين السنن الكونية الطبيعية - التي هي حكم الله تعالى في خلقه المادي ولعل ما كتبه ابن القيم في "مدارج السالكين" - عن منزلة "الأسباب" في الدين - فيه غناء عن كثير مما قد يقوله غيره ، فلنثبتْه هنا كموقف لأهل السنة في هذه المسألة:
"ونحن نقول: إن الدين هو إثبات الأسباب ، والوقوف معها ، والنظر إليها والالتفات إليها، وإنه لا دين إلا بذلك، كما لا حقيقة إلا به ... فإن الوقوف معها فرض على كل مـسـلـم، لا يـتـم إسلامه وإيمانه إلا بذلك... وهل يمكن حيواناً أن يعيش في هذه الدنيا إلا بـوقـوفـه مع الأسـبـاب؛ فـيـنـتـجـع مساقط غيثها ومواقع قطرها. ويرعى في خصبها دون جدبها، ويسالمها ولا يحاربها فكيف وتنفسه في الهواء بها، وسعادته وفلاحه بها،وضلاله وشقاؤه بالإعراض عنها وإلغائها ، فأسعد الناس في الدارين أقومهم بالأسباب الموصلة إلى مصالحها. وأشقاهم في الدارين أشدهم تعطيلاً لأسبابهما ؛ فالأسباب محل الأمر والنهي والثواب والعقاب والنجاح والخسران"[مدارج السالكين لابن القيم ، 407 وما بعدها].

ذلك هو فقه أهل السنة في الأخذ بالسبب وفي مرتبته التي بُنيت عليها الدنيا ، ولعل فيما نقلناه غناءً عن الإطالة.

وماذا عن واقع المسلمين:

لو اقتصر أمر ما عرضنا آنفاً من آراء منحرفة - على الجانب النظري البحت في الكتب والمناظرات ، وفي النطاق العلمي المحدود - لهان الخطب ، ولما تجشمنا عناء الرد عليها إلا إعذاراً إلى الله - تعالى - ببيان وجه الحق فيها ، ولكن شأن تلك الأفكار المنحرفة عن جادة الصواب أن تتسرب شيئاً فشيئاً إلى واقع الناس وحياتهم ، خاصة إن كُتب لها أن تنتشر بواسطة انتشار مذاهب من يحملونها في المكان والزمان ، فتعمل عملها في تشكيك العقلية الإسلامية ، ومن ثم التأثير في مجريات الحياة الإسلامية ، حتى تصبح جزءاً من النسيج العقلي الذي ينسج الناس على منواله دون معرفة لمصدره أو تحديد أسبابه.

وإننا حين استعرضنا ما ذكرناه من آراء يأخذ بعضها برقاب بعض ، ما قصدنا أن نروي تاريخاً فات ، أو أن نثير في النفوس حزازات ، ولا أن يكون بحثنا متاعاً عقلياً لمن يفتنه ذلك النوع من المتعة العقلية ، بل إلى النظر في الواقع الحالي للمسلمين ، وكيف أثرت فيه تلك الأقوال حتى أسلمته إلى ما هو عليه من وهن وضعف ، ومن تخلف وانحطاط.

كيف نريد لعلم أن ينشأ ؟ أو لأمة أن تتقدم وتترقى ؟ أو لقوة أن تنمو وتزداد ، بينما تلك الأفكار الخبيثة تعمل عملها في الفرد والمجتمع فتثبط الهمة ، وتفل العزم ، وتهدر الجهد.

لقد عملت تلك المفاهيم - عن القدر والسببية - عملها في الأمة الإسلامية خلال قرون متطاولة ، فكان من جرائها - إلى جانب أسباب أخرى عديدة - أن أهمل المسلمون العلوم التجريبية بلا شعور أو وعي ، وكان هذا هو المعول الأول الذي جر بهم إلى حضيض التخلف والضعف ، في عالم عرف قيمة العلم التجريبي الذي يبني أول ما يُبنى على قاعدة ربط الأسباب بنتائجها ، وأن السنن الكونية عاملة في الوجود بحسب ما أجراها الله - سبحانه - في حكم العادة الجارية.

وكيف يندفع المسلم إلى محاولة اكتشاف علاقة بين أمرين ، وهو أصلاً يؤمن بأنه لا رابطة بينهما ، وأن أحدهما لا ينشأ عن الآخر ، بل - في أحسن الأحوال - ينشأ عند حدوث الآخر لا غير؟!.

لقد سن الله - سبحانه - سنناً كونية ، أجرى عليها أمر الناس والأشياء والمادة ، وهذه السنن تعمل بشكل دائم منتظم سواء في حياة الناس الاجتماعية ، أو الفردية ، وسواء في مبناهم الجسدي أو عالمهم المادي ، وسواء في الأمم التي اهتدت بهدي النبوة ، أو التى كفرت بها.

والآخذ بالأسباب الصحيحة التامة ، والمراعى لتلك السنن الكونية الإلهية هو الموفق إلى العلو والارتقاء في هذه الدنيا ، وإن من رحمة الله وفضله على المسلمين أن أتاح لهم الأسباب التي توصلهم لخير الدارين بأن هداهم للإيمان ووفقهم لاتباع الهدي النبوي ، ودلهم على ما لم يدل عليه الكافرين من أسباب خاصة تعاونهم على النجاح والظفر في الدنيا والآخرة كالدعاء والعبادة وإفراد التوحيد ، كذلك الأسباب التامة التي تقيم حياتهم المادية على خير نسق سواء في معاملاتهم المادية أو علاقاتهم الاجتماعية. وبقدر ما يحصل الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم من الأخذ بالأسباب ، ومراعاة تلك السنن ، بقدر ما يتقدمون في الدنيا على أعدائهم ، فإن تخلوا عن الأسباب الموصلة لخير الدنيا أو الآخرة ، فهم وغيرهم سواء ، والظفر لمن نال أسباب القوة والغلبة.

كيف يأمل المسلمون أن يتغلبوا على تلك القوى الهائلة التي تحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم ، وتترصد بهم في كل لحظة لتقضي عليهم قضاءً مبرماً ، وهم لا يملكون - بل ولا يحاولون - وسائل التقدم والغلبة سواء منها الحربية أو الاقتصادية أو غيرها ؟!.

كيف يأمل المسلمون أن تتحرر إرادتهم في أوطانهم ، وأن يكون لهم أمر أنفسهم في ديارهم دون أن يتخذوا بالأسباب الكفيلة بأن يسيطروا على العالم الاقتصادي والسياسي و العسكري ؟!.

ولـقـائـل أن يـقـول: إنـنـا نحاول جـهـدنا باتخاذ بعض الأسباب دون بعض، أو جزء من الأسباب الناقصة دون التامة ، إلا أننا ننبه

إلى نفيسة من النفائس التي ذكرها الشاطبي وابن القيم من أن الإتيان بالسبب على كماله ، وانتفاء أي مانع يمنعه ، تنشأ النتيجة عنه لا محالة، كما أن الفاعل إن قصد أن لا تقع النتيجة بعد الأخذ بالسبب التام فهو عابث، كذلك فإن أخذ بجزء السبب أو بسبب ناقص لم يوصله إلى النتيجة المرجوة وإن أراد ذلك [الموافقات، 1/218].
فالسبب يجب أن يؤخذ على الوجه الأكمل حتى يتم المقصود منه ، وتترتب عليه نتائجه حتى يتخطى المسلمون تلك العقبات ، وحتى يتخلصوا من المأزق التاريخي الذي وقعوا فيه - بما كسبت أيديهم - فإن عليهم الأخذ بالأسباب التامة كافة في جميع المجالات دون استثناء ، في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والعسكري والسياسي ، وأن يكون همهم تدارس كيفية تقدم الأمم الأخرى ، ووسائل اللحاق بها والأخذ عنها بما لا يتعارض مع شرعنا الحنيف ، فإنه ليس كل ما عند الكافرين كفر ، بل فيه حق وباطل ، ونحن أحق بالحق الذي عندهم منهم.
إن من سنن الله الجارية في الأمم كافة:
أن تقوى الله سبب العلو ، والمعصية والبدعة سبب للذلة.
وأن الاجتماع سبب للنصر ، والتفرق سبب للهزيمة.
وأن العلم سبب للتفوق ، والجهل سبب للتخلف.
وأن المال سبب للقوة ، والفقر سبب للهوان.
وأن الوعي سبب النجاة ، والذهول عن الحقائق سبب للهلاك.
وأنه بالعمل تتقدم الأمم ، وليس بالشعوذة ، وبالصناعة تترقى المجتمعات ، وليس بالتواكل وترك الأسباب.
إن البشرية قد قطعت شوطاً طويلاً سبقت فيه المسلمين سبقاً كبيراً ولابد للمسلمين من أن يسرعوا الخطى في الطريق السديد.. ليلحقوا بالركب أولاً .. ثم يقودونه للهدى ثانياً .
وإن العودة لمنهج السلف الصالح هو سبب الاجتماع فالنصر ، والإصرار على التحزب والمكابرة هو سبب التفرقة فالهزيمة.
والحرص على النفع الشخصى والسعى وراءه - حتى وإن كان في الإطار الإسلامي - لا يُغني غناءً كثيراً ؛ إذ إن السبب يجب أن يؤخذ على كماله وبوجهه الصحيح وإن تقديم النفع الجماعي والمصلحة

العامة - وعدم الحرص على التوفيق المعتسف بينهما وبين الاعتبارات الشخصية - هو سبب الاندفاع للأمام ، ونمو القوة الإسلامية من جديد.
وإن اعتقد المسلمون أنه يمكنهم النصر ، والخروج من المأزق وهم على تلك الحال فيما بينهم وبين أنفسهم ، أو بينهم وبين أعدائهم ، فهم واهمون فالأسباب لابد منها ، وليدرك من يقصر عن اتخاذ الأسباب أنه يفت في عضد ذلك الكيان الإسلامي.. مهما اتخذ من أعذار أو قدم من مبررات لنفسه أو لمن حوله..
إنه لابد من النهضة العلمية ، والتخصص في مجالات العلوم كافة لأعلى درجات التخصص ، حتى ينبغ من المسلمين من يهيئ لهم أسباب استخدام تلك الطاقات الهائلة المتاحة لأعدائهم ، والمسلمون مقصرون إن لم يأخذوا بأسبابها.
ولابد من النهضة الاقتصادية ، وبناء اقتصاد إسلامي مستقل متكامل يلجأ إليه المسلمون دون خوف من القوى المعادية ، التي ستمنع عنهم ثرواتهم إن عاجلاً أو آجلاً .. والمسلمون مقصرون إن لم يأخذوا بأسبابها. ولابد من الوعي السياسي ، والوعى الإعلامي ، حتى يفهم المسلمون حقيقة ما يدور حولهم ، وما يراد بهم من شتى الجبهات العدائية.. والمسلمون مقصرون إن لم يأخذوا بأسباب ذلك.
ولابد من الدراسات الاجتماعية المتخصصة، التي تتناول تلك التركيبة الإسلامية الحالية، أفراداً ومجتمعات ، وما يؤثر فيها ؛ حتى يكون الدواء مناسباً للداء ، فالبشر لهم سمات مشتركة خلقها الله - تعالى - فيهم ولابد من الالتفات إلى تلك العوامل النفسية والاجتماعية التي تعمل عملها وتسّبب الكثير من المشاكل في الواقع الإسلامي المعاصر... والمسلمون مقصرون إن لم يأخذوا بأسباب تلك الدراسات.
وأخيرا.. هي دعوة ليستفيق المسلمون "المخلصون" مما هم فيه من غفلة عن الداء ، ومن إعراض عن الدواء ، قبل فوات الأوان. وهي أمانة في عنق كل مسلم واعٍ يحملها إلى أخيه؛ أن أدرك مَن حولك بالتربية والتوعية، واسعَ للائتلاف ونبذ الخلاف والأخذ بالأسباب التامة لنصل إلى النتائج المرجوة...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نصيحتي لأهل السنة

مقبل بن هادي الوادعي

قال البخاري - رحمه الله - (ج13 ، ص193) حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا سيار ، عن الشعبي ، عن جرير بن عبد الله قال: "بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة فلقنني ما استطعت ، والنصح لكل مسلم".

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج1 ، ص74): حدثنا محمد بن عباد المكي، حدثنا سفـيـان، قال: قلت لسهيل: إن عمراً حدثنا عن القعقاع عن أبيك ، قال: - ورجوت أن يسقط عني رجلاً - قال: فقلت: سمعته من الذي سمعه منه أبي ، كان صديقاً له بالشام. ثم حدثنا سفيان، عن سهيل، عن عطاء بن يزيد، عن تميم الداري، أن النبي صلى الله علـيه وسلـم قال: "الدين النصيحة قلنا: لمن ؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

نصـيـحـتي لأهـل السنة أن يتـباعدوا عن أسـباب الـفُـرقـة والاختلاف؛ فعقيدة أهل السنة واحـدة، واتـجـاهـهم واحـد، ولـيـس هـناك مـسـوغ للفرقة والاختلاف إلا الجهل والبغي والشيطان، وفي صحيح مسلم أن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم.

والخلاف شر، كما قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، عندما صلى عثمان، رضي الله عنه، بمِنى بالناس أربعاً فاسترجع عبد الله،رضي الله عنه،ثم قال: صليت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر - رضي الله عنه - بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بمنى ركعتين، فليت حظي ركعتان مـتقـبلتان (رواه البخاري) زاد أبو داود - كما في الفـتح - فقيل لعبد الله: عبت عثمان ثم صليت أربعاً ! فقال: الخلاف شر. ورب العزة يقول في كتابه الكريم ((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) [الأنفال:46]. وفي الصحيح عن جندب،رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اخـتـلـفـتم فـقـومـوا عنه".

وفي مسند الإمام أحمد - ما معناه - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن جماعة من الصحابة جلسوا عند حجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فجعلوا يتنازعون ، هذا يستدل بآية ، وهذا يستدل بأخرى ، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - مغضباً وقال: ما بهذا بُعثتم ، لا تضربوا القرآن بعضه ببعض ، ألا تكونوا كهذين الرجلين ؛ يعني عبد الله بن عمرو وصاحباً له ، وكانا قد جلسا بعيدين عن الجالسين.
وفي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "ذروني ما تركتكم ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم". وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ خلافها ، قال: فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: كلاكما محسن ، فاقرآ - أكبر علمي قال - فإن من كان قبلكم اختلفوا.
وأما حديث: اختلاف أمتي رحمة ، فهو حديث باطل ، لا سند ولا متن ، فالسند معضل ، والمتن يدفعه ما تقدم من الأدلة ، وقوله تعالى :((»ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ«)) [هود:،118 119]. فمفهوم الآية الكريمة أن المختلفين ليسوا ممن رحمهم الله ، والله أعلم.
ولست أستدل عليكم - يا أهل السنة ! - بقول الله - عز وجل -: »إنَّ الَذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ«[الأنعام:159] ؛ فأنتم - بحمد الله - ما فرقتم دينكم ، وإنما اختلفتم في بعض المسائل التي اختلف فيها سلفنا - رحمهم الله - في أكبر منها ، وما كان ذلك سبباً لهجر ولا قطيعة.
إن مَن يقرأ في المحلّى لأبي محمد بن حزم - رحمه الله - ، أو في كتاب اختلاف العلماء لمحمد بن نصر المروزي - رحمه الله - ، أو في كتاب الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف لابن المنذر - رحمه الله - ، أو في فتح الباري ، أو في تفسير الحافظ ابن كثير - يرى أن سلفنا - رحمهم الله - قد اختلفوا في كثير من مسائل

العبادات والمعاملات ، وما أدى ذلك إلى هجران بين العلماء ، وأما الأتباع فربما حصل بينهم بسبب الجهل والتعصب.
إن أهل السنة - بحمد الله - ليسوا كغيرهم ، يختلفون في العقيدة ؛ فالخوارج يكفر بعضهم بعضاً ، وهكذا رؤوس الاعتزال يكفر بعضهم بعضاً ، كما في المِلل والنِّحل ، أما أهل السنة فالحمد لله غالب اختلافهم في مفهوم حديث أو في عبادات وردت عن الشارع متنوعة ، أو في حديث اختلفت أنظارهم في تصحيحه وتضعيفه ، إلى غير ذلك من أسباب الاختلاف التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -.
أنتم تعلمون - يا أهل السنة ! - أن أعداءكم يشمتون بكم ، وأن أعداء الإسلام لا يهابون إلا إياكم فهم يحرصون على تشتيت شملكم بأي وسيلة.
إن الواجب على أهل السنة أن يكونوا مهيَّئين لحل مشاكل العالم كله ، فهم أهل لذلك وأحق به ، فهم الذين أعطاهم الله فهم كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الوجه الصحيح.
إن أهل السنة يعتبرون أكثر العالم الإسلامي ، ولكن تفرقهم واختلافهم وجهل أهل كل شعب بأحوال الآخرين جعلهم يذوبون في المجتمعات ، وإنا لنرجو أن يوفق الله "مجلة البيان" لتفقُّد أحوال أهل السنة ، والنشر عنهم وعن أحوالهم وعسى الله أن يجمع شملهم.
أو لستم أحق الناس - يا أهل السنة ! - بجمع الشمل ، ووحدة الكلمة ؟ ، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ((»واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا«))[آل عمران:103] ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول -كما في الصحيحين من حديث أبي موسى - رضي الله عنه -: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".
ويقول،كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير -: "مـثـل المـؤمـنـيـن في تـوادهـم وتـراحـمـهـم كمـثـل الجـسـد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".
فالرافضة شغلت العالم بإعلامها ، وأضلت كثيراً من الناس ، بل شغلتهم عن أداء مناسك الحج ، فالناس يأتون من كل فج عميق ،

ليؤدوا مناسكهم ، وليذكروا الله في تلك الشعائر المباركة، فما يشعرون إلا بخروج الرافضة بالمظاهرات الجاهلية يهتفون: "خميني .. خميني"، فمن الذين يستطيع أن يفرق هذه الجموع التي عـتـت عـن أمـر ربـهـا، وجعلت الحج شعاراً للفوضى والصخب والدعوات الجاهلية، لا يسـتـطـيـع - بإذن الله - إلا أهل السنة إن اجتمعت كلمتهم وكانوا أهل سنة حقاً.
إن هذه اليقظة الإسلامية التي أرادها الله تحتاج إلى رعاية ، ومن يقوم برعايتها إلا أهل السنة؟!.

علاج الاختلاف الناشئ بين أهل السنة المعاصرين:

إن الاختلاف الناشئ بين أهل السنة يزول بإذن الله بأمور:
* منها: تحكيم الكتاب والسنة ، قال الله سبحانه وتعالى:((»فَإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ«)) [النساء:59] ، وقال تعالى: ((»ومَا اخْـتَـلَـفْـتُـمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إلَى اللَّهِ«)) [الشورى:10]، وقال سـبـحـانـه وتعـالـى: ((»وإذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ولَوْ رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وإلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلاَّ قَلِيلاً«)) [النساء:83].
* ومنها: سؤال أهل العلم من أهل السنة ، قال الله سبحانه وتعالى:((»فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ«)) [النحل:43]، ولـكـن بـعـض طـلـبة العلم رضي بما عنده من العلم، وأصبح يجادل به كل من يخالفه ، وهذا سبب من أسباب الفرقة والاختلاف. روى الإمام الترمذي في جامعه عن أبي أمامة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل" ؛ ثم قرأ:((»مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ«)) [الزخرف58].
* ومنها: الإقبال على طلب العلم ، فإذا نظرت إلى قصورك بل إلى أنك لست بشيء إلى جانب العلماء المتقدمين ، - كالحافظ ابن كثير ، ومن تقدمه من الحفاظ المبرزين في فنون شتى - إذا

نظرت إلى هؤلاء الحفاظ شُغلت بنفسك عن الانتقاد على الآخرين.
* ومنها: النظر في اختلاف الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم من العلماء المبرزين إذا نظرت إلى اختلافهم حملت مخالفك على السلامة ، ولم تطالبه بالخضوع لرأيك ، وعلمت أنك بمطالبته بالخضوع لرأيك تدعوه إلى تعطيل فهمه وعقله، وتدعوه إلى تقليدك، والتقليد في الدين حرام ، قال الله سبحانه وتعالى:((»ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ«)) [الإسراء:36] إلى غير ذلك من الأدلة المبسوطة في كتاب الشوكاني "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد".
* ومنها: النظر إلى أحوال المجتمع الإسلامي ، وما تحيط به من الأخطار أعظمها جهل كثير من أهله به ، وإنك إذا نظرت إلى المجتمع الإسلامي شغلت عن أخيك الذي يخالفك في فهمك ، وقدمت الأهم فالأهم ، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: "أول ما تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم -". متفق عليه من حديث ابن عباس.
وبعد.. فإنا قد نظرنا في المسائل التي يختلف فيها أهل السنة المعاصرون الذين لا يختلفون عن هوى فوجدناها تقارب ثلاثين مسألة ، وزعناها على إخواننا أهل السنة ، يذكرون إن شاء الله الأحاديث بأسانيدها ، وينظرون في أقوال الشراح في فهم هذه الأحاديث ، وإن احتِيج إلى نظر في كتب الفقهاء رحمهم الله نظر فيها ، فإن كان إخواننا أهل مجلة البيان - بارك الله فيهم - سيفتحون صدورهم لهذا فقد بلغني أن أهل السنة الذين يهمهم أمر المسلمين في غاية من الشوق إلى هذا ، فإن شاء الله سيرسل كل موضوع ولا مانع من أن يجزئوه وبعدها إن شاء الله يخرج كتاباً ، وهذا من باب التعاون على البر والتقوى والاهتمام بأمر المسلمين وقطع ألسنة الحاقدين على أهل السنة الذين يسخرون منهم ، ويقولون: إنهم يختلفون في الشيء التافه ، وينفرون عنهم ، ويلمزونهم بما ليس فيهم ، شأن المبتدعة وذوي الأهواء في كل مكان وزمان أنهم ينفرون عن أهل السنة ، وقد

ساق عنهم ابن قتيبة - رحمه الله - في كتابه "تأويل مختلف الحديث" الشيء الكثير من السخرية بأهل السنة ، وقد مات النظام ، وأبو الهذيل ، وغيرهما من أعداء السنة ، وبقيت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيضاء صافية لم يضرها سخريتهم ، وسيموت أعداء السنة المعاصرون وتبقى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الله تضمن بحفظها فقال:((»إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ«)) [الحجر:9] والذكر يشمل الكتاب والسنة ؛ إذ كلاهما (وحي) من عند الله سبحانه وتعالى:((»ومَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى. إنْ هُوَ إلاَّ وحْيٌ يُوحَى«)) [النجم:3،4]. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه".
هذا ، ولسنا نطالب أهل السنة المعاصرين ألا يختلفوا في صحة الحديث وتضعيفه ، وألا يختلفوا في فهم الأدلة ، فإن هذا أمر قد اختلف فيه سلفهم ، رحمهم الله ، كما هو معروف من سيرتهم.
فهذه نصيحتى لإخوانى في الله - أهل السنة - وأسأل الله لهم النصر والتوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

هدم المسجد الجامع بوسط أكرا

كـتـب إلـيـنـا الدعاة والعلماء في "أكرا" عاصمة غانا يشكون موقف السلطة الظالم، وكيف أقدمت على هـدم المسجد الجامع في "أكرا" ، من أجل تحويل أرضه إلى مواقف للسيارات.
والشيء الجدير بالذكر أن خطة هدم المسجد لم تكن ضمن خطة بناء مواقـف لـلـسـيـارات، وأن هذا الأمر قد حصل بشكل مفاجئ .
وقـالـت أطـراف مقربة من السلطة إن الحكومة اتخذت هذا الموقف بعد أن أصبح المسجد مركزاً يعج بالـنـشـاط الإسلامي ، وكثر الشباب الذين يترددون عليه وخشيت السلطة من تطور هذه الظاهرة وازديـاد قـوة الـمـسـلـمين، ورؤوس النظام الغاني يعلمون علم اليقين أن العقائد الأخرى التي يَدينون بها أضعف من

أن تواجه المد الإسلامي إذا كانت هناك حرية ، وإذا سمح للمسلمين بما أوجبه الله عليهم من حرية تبليغ الدعوة إلى الله.
وزعمت السلطة - فيما زعمته - أن جهات أجنبية تتدخل في شؤون المسلمين في غانا عن طريق القائمين على المسجد ، ويعنون بذلك جهات باطنية معروف عنها الشغب والفتنة ونحن المسلمون نشكو من هذه الجهات المشبوهة ونتهمها بأنها تفتعل مشكلات لا أصل لها لتجر فتناً وويلات على المسلمين في غانا وغيرها.. ولو كانت حكومة غانا جادة لمنعت هذه الجهات ولوضعت حداً لها لأنها جهات أجنبية ليس لها صلات عقائدية مع المسلمين في المسجد أو غيره.
وإقدام السلطة على هذه الجريمة النكراء أثار المسلمين فاحتلوا المسجد في 14 من أكتوبر من عام 1986 وأقاموا فيه يومين.. وأخيرًا تعاون مع السلطة ضعاف النفوس من زبانية السلطة الذين يتاجرون بالإسلام ويزعمون بأنهم ممثلون له.. وتم أخيراً هدم المسجد الذي كان يحتل مكاناً مرموقاً في مدينة أكرا .
إن الحرب المعلنة على الإسلام تتخذ أشكالاً متعددة ، وتبرز في مظاهر متنوعة ، فبالإضافة إلى حمى التبشير القائمة في بقاع كثيرة من آسيا وإفريقية ، وتنصير كثير من المسلمين استغلالاً لظروف الفقر والمرض والجهل التي تحيط بهم - هناك أيضاً العمل الدؤوب على محو معالم الإسلام بشتى الحجج مهما كانت واهية ، وهذا مثال على ذلك .
وإزالة معالم الإسلام ، وتجريد المسلمين من كل ما يميزهم ومن كل ما يساعدهم على جمع شملهم وشعورهم أنهم جماعة - هدف تلتقي عليه الحكومات المدعومة من التبشير أو الحكومات العلمانية اللادينية ، فسواءً كانت هذه الحكومات ديموقراطية أو عسكرية - تستمد سلطانها من الغرب أو من الشرق - فكلها تجد في الإسلام حجر عثرة ، وترى في المسلمين طائفة مستباحة مهدورة الحقوق ! .
فلو أن كنيسة كانت تحتل وسط أكرا فهل كان في حكومة غانا من يجرؤ على الكلام حول نشاطها بكلمة ، فضلاً عن أن يقرر إزالتها من الوجود ، لو أن أحداً فعل ذلك لكان الفاتيكان استنكر

ذلك أشد الاستنكار ولكان -مجلس الكنائس العالمي - بما له من نفوذ - وصح من يصدر عنه ذلك بانتهاك حقوق الإنسان وبمصادرة حق الناس في الحفاظ على مقدساتهم والقيام بحقهم في العبادة وهو حق ضمنته لهم كل الشرائع والدساتير.
إن هناك ممالك كبيرة كانت تحكم بالإسلام وتدين به وتتخذه منهاجاً لها تمتد من غرب إفريقية إلى
شرقها إلى وسطها ، كلها تقريباً أزيل من الوجود ، وحل محلها حكومات علمانية همها إضعاف المسلمين والتمكين للنصارى وغيرهم ، وأصبح المسلمون أقليات في بلاد كانوا فيها أكثرية ، وذلك كله بسبب شدة الوطأة الاستعمارية التي شملت هذه البلاد وجعلتها ترزح تحت نير الغرب وظلمه ونهبه ونشره مبادئه التي تربط هذه الشعوب برباط التبعية للغرب المسيطر.

إخواننا العلماء والدعاة في غانا ! :

نحن معكم بقلوبنا ومشاعرنا نغضب لما يغضبكم ، ونسر لما يسركم ، وقد آلمنا هدم المسجد وضاعف من ألمنا أن مثل هذه الكارثة لم يتفاعل معها المسلمون -بكل أسف -مع أننا نعلم أن صرخاتكم وصيحات استنكاركم وصلت الجميع.. وعزاؤنا الوحيد أن الله سيحفظ دينه ، ونحن بهذا الإسلام أقوى من الدنيا وما عليها.
فوحدوا صفوفكم واصدقوا مع ربكم ، وأبشروا بنصر الله -
سبحانه وتعالى - وسوف تعود إفريقية كما كانت حصناً من حصون الإسلام الراسخة ((وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)) [الحج:40] .

تمت بحمد الله